الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de la recherche scientifique

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Université 8 Mai 1945 Guelma
Faculté : des Lettres et des Langues
Section de langue et littérature arabes

الرقم:.....

N°:.....

رسالة مقدّمة لنيل شهادة

الماستـــــر

المهمّش في روايتي كاماراد للصّديق حاج أحمد والعمامة والطّربوش صبرينة بن عزيزة

–وفق المنهج الاجتماعي–

(تخصص: أدب جزائري)

من إعداد:

بسمة بوشريط

تحت إشراف:

راوية شاوي

تاريخ المناقشة: 2019/07/07

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
وردة معلم	أستاذة التعليم العالي	رئيسا
راوية شاوي	أستاذ مساعد "أ"	مشرفا و مقررا
السعيد مومني	أستاذة محاضر "ب"	ممتحنا

السنة الجامعية: 2019/2018

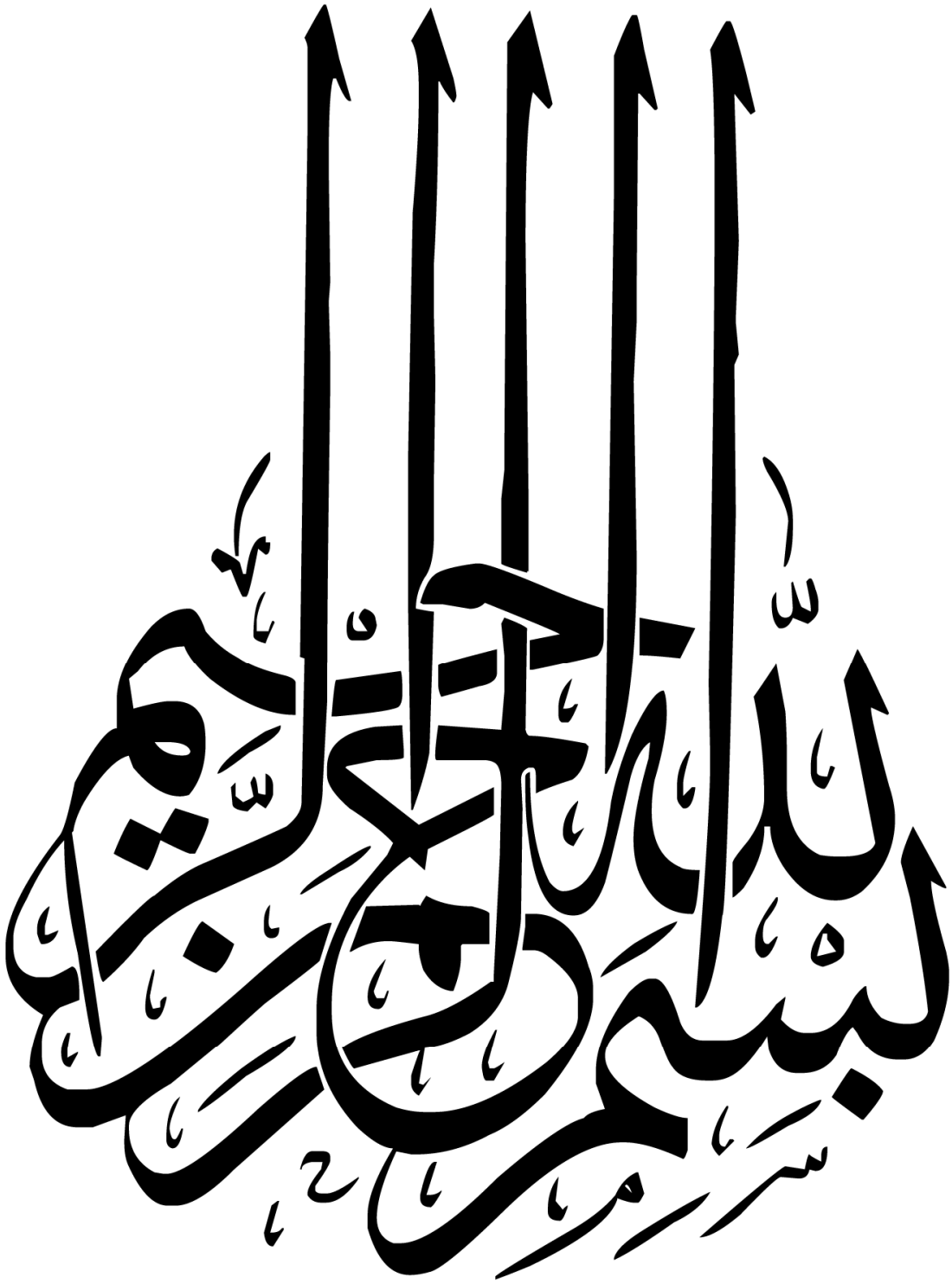
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَكَ ما لَم تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

النساء الآية 113.

الحمد والشكر لله أولا صاحب النِّعمة الذي أعانني وثبّت خطاي لإنجاز هذا البحث المتواضع والذي آمل أن يعود بالنفع لكل من يطلع على صفحاته.

مع فائق الاحترام والتّقدير أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذتي المشرفة "**راوية شاوي**" التي تكرمت بالإشراف على بحثي ومتابعته؛ حيث كانت ـ حفظها الله ـ بتواضعها الكريم خير معين، فكانت إرشاداتها وتوجيهاتها سديدة ، فأوصلنا بها بعد الله سبحانه وتعالى إلى برِّ الأمان, فلها منِّي جزيل الشكر وكامل العرفان, فحفظها الله وأدام لها الصّحة والعافية .

كما أتقدم بفائق التقدير إلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي.

والشكر موصول للجنة المناقشة.

المقدمة

استطاعت الرّواية إبّان القرن التّاسع عشر الميلادي أن تُثبت وجودها في السّاحة الثقافية، وأن تتصدّر قائمة الأجناس الأدبية بفعل ما تتوفرّ عليه من قدرة على ترجمة الواقع ومواكبة مجرياته، بالإضافة إلى حملها أفكار أيديولوجية وسياسيّة واجتماعيّة.

كان للرّواية الجزائريّة نصيب وافر من هذا الوجود والتّطوّر؛ لأنّ الحركة الأدبيّة واكبت التطورات الاقتصاديّة والسِّياسيّة والاجتماعيّة التي مرّت بها الجزائر لترسيخ كيانها، وهذا ما أدى إلى كون الرّواية أكثر التصاقًا وارتباطًا بالحياة الاجتماعيّة للإنسان.

من خلال معايشة الرّوائي للواقع عن كثب يجسّد تجربة واقعيّة مسَّت جميع فئات المجتمع، بما فيهم الفئة المهمَّشة، والمنسيّة حيث تطورت الفئات الأخرى على حسابها، ولقد حفزتنا الأهمية البالغة التي يكتسيها المهمّش الاجتماعي على طرق موضوع المهمّش في الرّواية الجزائريّة. فارتأينا أن يكون العنوان **المهمّش في رواية كاماراد للصديق حاج أحمد، والعمامة والطّربوش لصبرينة بن عزيزة**، وهاذين النّموذجين تناولا صورتين مختلفتين للمهمّش؛ فالنموذج الأول تناول موضوع الهجرة غير الشرعيّة للأفارقة، أما النّموذج الثّاني فتناول واقع المرأة في الريف الجزائري. وحاولنا من خلالهما الإجابة عن الإشكالية الآتية:

- كيف تمظهرت صورة المهمَّش عبر روايتي **كاماراد**، و**العمامة والطّربوش** ؟
- وهل عبّرت الرّوايتان بالفعل عن الواقع المعيش للفئات المهمَّشة محلّ الدّراسة؟

وتفرّع من الإشكالية تساؤلات أخرى من قبيل:

_ ما المقصود بالمهمّش؟ وكيف انتقل من الحالة الاجتماعية إلى تصويره في الأدب؟ ما هي المصطلحات المتقاربة مع مصطلح التّهميش ؟

ازداد انشغالنا بالموضوع بعد أن تسنى لنا الإطلاع على العديد من الأبحاث، والدراسات التي تناولت الهامش مع ملاحظة عدم اهتمامهم المباشر بعنصر المهمّش الاجتماعي، فقد

كانت أغلب الدراسات الأكاديمية تكتفي بالإشارة إلى الشّخصية المهمّشة في الرواية كعنصر ثانوي تابع للشّخصيات الرئيسية، أو أن نجد بعض الدراسات تناولت الهامش في العتبات النّصية وعلاقتها بالمركز، أما في بعض الآخر فتمحورت على المهمّش الاجتماعي في مفهومه، إضافة إلى إحصاءات واقعيّة لا غير، ومن هذه الدّراسات السابقة نجد دراسة: **الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والنقدي لأحلام بن شيخ. مفهوم التهميش الاجتماعي في المجتمع الجزائري لسميرة قوندي.** كما كانت لنا دوافع وأسباب موضوعية أخرى ساندتها وعززتها رغبتنا الملحّة في تقديم دراسة تطبيقيّة تتمركز حول مفهوم المهمَّش وتجلياته داخل النَص الرّوائي الجزائري. وبهدف تسليط الضوء عليه من النَاحية الاجتماعيَة خاصة، ومعرفة إن كانت الرّواية الجزائريّة احتفت به وجعلته مركز متنها، وكذا معرفة مدى التزام الكاتب الجزائري بتصوير واقع الطبقة المهمّشة في مجتمعه.

للإجابة عن الإشكالية المطروحة، ارتأينا تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين أردفنا ذلك كله بمقدمة و خاتمة، المقدّمة تطرقنا فيها إلى طرح الإشكالية وأسباب اختيار الموضوع، والخطّة المتّبعة، و**مدخل** بعنوان: **الرواية الواقعية،** تناولنا فيه نشأتها، وأهم خصائصها، واتجاهاتها، وأعلامها. و**الفصل الأوّل:** المعنون ب: **مفاهيم الصورة والتهميش،** تضمّن مفهوم الصورة والمهمّش، ومفاهيم ذات صلة بالتّهميش الاجتماعي، وجدل المركز والهامش، إضافة إلى نظرة المهمّش في منظور العلوم الإنسانيّة.

أما **الفصل الثاني** التطبيقي: المعنون ب**صورة المهمّش في روايتي كاماراد والعمامة والطّربوش** قد تناول صورة المهمّش الاجتماعي من خلال تمظهرات الواقعيّة في رواية **كاماراد،** إضافة إلى التقاليد وواقع المرأة في المجتمع الجزائري من خلال رواية **العمامة والطربوش.**

خَلُص البحث إلى **خاتمة** ضمت بعض ما توصلنا إليه من نتائج، و**ملحق** مرفق بصور معبرة عن الموضوع.

يجب التّأكيد أنّ البحث استفاد من مراجع عديدة، منها: **كتاب الهامش الاجتماعي في الأدب** للكاتبة **هويدا صالح**، وكتاب **أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية** للكاتب **حسن بحراوي**، إلى جانب بعض الدراسات التطبيقية الأخرى التي اشتغلت على المهمش خاصة من خلال جدل مفاهيمه.

لمقاربة صورة المهمّش، وكشف دلالات الصورة داخل الرواية اعتمدنا على المنهج الاجتماعي، الّذي يتماشى مع موضوع البحث.

لم يخل هذا البحث من بعض المصاعب؛ تعلق بعضها بتداخل مفهوم المهمّش الاجتماعي مع أدب الهامش، وذلك لتشعب هذا الأخير، والحاجة إلى مراجع متنوعة تساعد على فهم صورة المهمش في الروايتين المختارتين، وتعلّق بعض آخر بقلّة الكتب التي تناولت المهمش الاجتماعي في الرواية؛ إذ تجدر الإشارة إلى الفضل بعض المجلات والمواقع الإلكترونية التي أنارت دربنا في إتمام هذا البحث المتواضع.

ونظرًا إلى مساعدات الأستاذة المشرفة ودعمها غير المحدود فقد هونت علينا العديد من الصعوبات والمشاق التي اعترضت سبيل البحث ونؤكد مرارًا أنّ هذا البحث لم يكن ليستوي على صورته هذه لولا توجيهات أستاذتنا الفاضلة **راوية شاوي**، فلها منا كل الشكر والامتنان، فجزاها الله ألف خير، وأدام لها الصحة والعافية.

المدخل:

1. ماهية الواقعيّة في الأدب .
2. نشأة الواقعيّة وأهم أعلامها .
3. خصائصها واتجاهاتها .
4. الواقعيّة النّقديّة والاشتراكية في الجزائر .

الأدب سمة إنسانيّة متأصلة في كل الشعوب، فهو حافظ وثابت قيمها، وهو دليلها للطّريق الأصح، فهو منير فكرها، ووعيها، ورابط ماضيها بمستقبلها؛ فقد غدا لسان حالها، ومعبرٌ عن المجتمع كتعبير الكلام عن الإنسان. وهو مرآة عاكسة لحال المجتمع، هذا كله ما تجلى في جنس أدبي شامل ووافي لجميع أركان الأدب، وهو جنس الرِّواية. فهذه الأخيرة يمكن أن تكون أبسط تعريف لها هو: أنها جنس أدبي، تتميز بالشّموليّة، وتنوع أحداثها، ومواضيعها، وجودة الحبكة، والتّركيب، أو أنها حكاية فيها أشخاص، وحدث. ومفهوم الرّواية يختلف باختلاف المناهج النّقديّة التي تنتمي إليها. ولأنَّ الرِّواية بدورها وليدة المجتمع منذ نشأتها فكانت بذلك الرّواية الواقعيّة.

1. ماهية الواقعيّة في الأدب:

مصطلح "الواقعيّة"غير غريب على اللّغة، فهو مصدر صناعي صيغ من اسم الفاعل (الواقع)، وتعني في المعاجم العربيّة: الموضع الذّي يقع عليه، والتّجديد، والتّوقيع« **والواقعيّة Le réalisme نسبة إلى الواقع Le réel؛ وهو الموجود حقيقةً في الطّبيعة والإنسان، والواقع نوعان: حقيقي وفنّي؛ والأوّل ما إذا وصفه الإنسان كان صادقًا وأمينًا لموافقته ما هو موجود وكائن (...). والثّاني: يقوم على خلق إبداعي لواقع لا يشترط أن يكون حقيقيًا بحذافيره»**[1]. فالأول كالصّورة الفوتوغرافيّة، أما الواقعيّة في الأدب لاتكون كالصورة الفوتوغرافيّة، فالواقع هو أساسها، ولكنها تطرأ عليها تغيرات من زيادة ونقصان وتركيب ليكون واقع غير أمين. أي بتعبير آخر محاكيًا له مع لمسة خاصة لكاتبه.

تُصوِّر الواقعيّة الحياة على ما هي عليه، ولكن ليس هذا هو التّحديد الدّقيق لها من حيث هي مذهب أدبي « **وقد فصل جورج ماليهGeorgeMerllie في بحث ألقاه في**

[1] –عبد الرّزاق الأصفر: المذاهب الأدبيّة لدى الغرب، مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامهادراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د. ط)، 1999، ص 133.

المؤتمر الدّولي لتاريخ الفن الذي عُقد في بروكسل سنة 1930 م بين الواقعيّة التي تفهم من حيث هي معاناة حرفيّة للواقع، والواقعيّة كما تفهم من حيثهي تصوير لمناظر من الحياة المنحطّة »[1].تميل الواقعيّة إلى ملاحظة جانب الشر، والظّلم، والتّشاؤم، على جانبه التّفاؤلي، في الشّخصيّة البشريّة، وهذا ما أدى إلى الصِّراع بين داعمي كل اتجاه، ونظرتهم لمفهوم الواقعيّة.

ونجد **سيزا قاسم** تُقرُّ بأنَّ كلمة **الواقعيّة** لها معنيان:«**أولهما: استخدامها على أنَّها قيمة مطلقة يمكن أن تتحقق في أي عصر من العصور، وهذا الاستخدام مرتبط ارتباطًا لصيقًا بنظريّة المحاكاة في الأدب. فهي بمعناها العريض الأمانة في نقل الطّبيعة (...). والاستخدام الثّاني لكلمة الواقعيّة هو: استخدامها التّاريخي المحدود ممثلًا الاتجاه الذي ساد الحياة الأوروبيّة في القرن التّاسع عشر(...). فالواقعيّة هنا تكون مجموع الأساليب الفنيّة والتّقاليد المبتكرة التي حدثت كردِّ فعلٍ للمدارس السّابقة والتّشكيل الفنّي الذّي تمثَّل أفضل ما تمثَّل في الرّواية** »[2]؛ أي أنَّ الواقعيّة جذورها ضاربة في القدم واستعمالها يرتبط بالطّبيعة في صدق تصويرها ؛ أي محاكاة لها، غير أنَّ كلمة الواقعيّة ارتبطت بالدّول الأوروبيّة، وذلك لأنَّ مدلولها لم يتحدد بدقة إلا من خلالهم.

وقدركّز المذهب الواقعي على وصف المجتمع الإنساني على حقيقته بكل جرأة، ومصداقيّة بعيدًا كل البعد عن الأهواء الشّخصيّة،والميولات الذّاتيّة.وهذا ما يفسر «**أنّها اتجاه فكري أو ظاهرة فكريّة تتجسد في الفن والأدب، وقد تنساق في مدارسه انسياقًا ذاتيًّا، أو موضوعيًّا في هذا الأسلوب التّعبيري أوذاك، لكنها ترتكز إلى معطيات الواقع الموضوعي.**

---

[1]– عز الدّين إسماعيل:الأدب وفنونه دراسة ونقد،دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط9، 2013م، ص 30.

[2]– سيزا قاسم: بناء الرّواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2004م، ص 20، 21.

لتكوين منهج فكري ينطلق منه الفنان في نظرته الفنيّة إلى العالم،وهي نظرة رؤيويّة تتجه اتجاهات أسلوبيّة جماليّة في إحدى المدارس الفنيّة، والأدبيّة المعروفة. مستنبطة مفهومًا عقليًا عن الأشياء والأحداث »[1] تتجسد الواقعيّة من خلال تطبيق مبادئها من خلال الفن، والأدب.إذ أنَّها تختلف من مجسد للآخر ؛ في حين تؤكد على جانبها الموضوعي الذِّي هو أساس منهجها، وتؤكد أنَّ جوهرها يكمن في الموضوعيّة، والصّدق الفنّي.

ومن تعاليم هذه المدرسة قول**إميل زولا(Emile. Zola) (1840م – 1902م)**

« **أدرس طبائع النّاس وتفاعلاتهم، وأحل القوانين العضويّة كالوراثة، والانتكاس محل المبادئ الكاثوليكيّة الملكيّة** »[2]؛يقصد **زولا** هنا أنَّ الأديب أو الأدب الواقعي يسلِّط الضوء على كل ما يخصّ الإنسان من سلوكاته، وتفاعلاته، ويحلِّلها، ويكشف عللها،وأسبابها من دون المساس في الظّواهر التي لم يهتدِ إلى تعليلها.

تنوّعت أسماء الواقعيّة، وتفرعت، واختلف النقاد في وضع مفهوم شامل لها ؛ وذلك لتشعب السّياقات التي ترِدُ فيها، وفي هذا السّياق يقول **كارل مانهايم***« **إنَّ الواقعيّة تعني أشياء مختلفة في سياقات مختلفة** »[3]. فهي كالمطاط تتماشى مع أي موضع تنساق فيه،مثلًا: كلمة واقعيّة يستعملها البعض كمدح عمل ما، في حين يستعملها البعض الآخر

---

[1]– فايز ترحيني: الدّراما ومذاهب الأدب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص 195.

[2] – المرجع نفسه: ص 199.

* كارل مانهايم Karl Mannheim: (1893م – 1947م)، أو كارولیمانهایمKérolyManheim، بالكتابة الأصلية لاسمه، عالم اجتماع مجري المولد، ذا أثر ملحوظ في النصف الأول من القرن العشرين، وأحد مؤسسي " علم الاجتماع الكلاسيكي "، وكذلك مؤسس علم اجتماع المعرفة، ينظر:https://m.marefa.org، اطلع عليه: 2019/04/21م، الساعة: 20:13.

[3]– صلاح فضل: منهج الواقعيّة في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980م، ص 33.

كذمِ، واستهجان له، ولهذا فيعتقد النّقاد المحدثين أنَّ كل حكاية أو قصة تحتمل فيها وجود الواقعيّة من عدمها.

نجد في هذاالاختلاف كذلك قول **أرنست فيشر(1754م -1831م، Ernst Fischer)**« **من دواعي الأسف أنّ مفهوم الواقعيّة في الفن غامق ومطاط. فهي تعرض أحيانا على أنّها موقف، أي أنّها الاعتراف بالواقع الموضوعي على حيث تعرض أحيانا أخرى على أنّها أسلوب ومنهج** »[1]. وهذا ما يفسر كون «**الواقع شديد التّعقيد، شديد الغنى ومتشابك،إنه كل شبكة من المتناقضات المؤتلفة والتي تصنع وتنسج في صداها وتآلفها، في تفرقها وتجملها، سيولة، الزّمن وشكل المجتمع أو حالته** »[2] وبما أنَّ الرّواية هي عبارة عن نسيج اجتماعي ؛ لذا فالنّص الرّوائي الذي لا يُصوِّرُ المكنون الحقيقي للواقع الرّاهن بما يحتويه من تناقضات، وتداخلات من خلال شخوصه الرّوائيّة. فهو بذلك يخسر صدق معرفته، إضافة إلى الجمال الفنّي، فكما لكل إنسان دور فعال، ومهم داخل المجتمع بواجباته، وحقوقه، وتفاعلاته، فمثله بالنّسبة للشّخصيّة الرّوائيّة، ودورها في إنتاج، وتكامل النّسيج الرّوائي.« **فالدور الاجتماعي للشّخصيّة يتحدد بنقطتين هما:**

1-دورومكانة في عملية الإنتاج الاجتماعية. ككل.

2- مدى وعيه لدوره. أي طريقة تفكيرهومفهوما ته العامة.»[3]

ينتقي الواقعيّون شخصياتهم من الطّبقة الوسطى، أو كما تسمى في الغرب (البرجوازية)، ومن الطّبقة العاملة (البروليتاريا) ؛ وذلك بتصوير ما تعانيه هاتين الطّبقتينمن

---

[1]- أسامة يوسف شهاب:الاتجاه الواقعي في الرّواية النّسويّة في الأردن وفلسطين، مجلة دمشق، سوريا، المج: 29، الع: 2،1، 2013م، ص 622.

[2] - محمد كامل خطيب: الرّواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص 18.

[3] - المرجع نفسه: ص 19، 20.

حيف وضياع،وقهر، واضطهاد جراء قسوة الطّبقات العليا. فأساس الأدب، والفنّ هو المجتمع،وما يهمّ المجتمع هو مشكلات عصره.

وعلى صعيد الكتابة « **يلاحظ الكاتب الأحداث في الطبيعيّة ويرتبها ترتيبا يوجه بها الظّاهرة التي يلحظها. لينتهي إلى النّتيجة التي يريدها، ولا بدَّ للكاتب من التّجربة ؛ أي إخضاع الحقائق لقانونها المتحكم فيها** »[1].فالتّجربة والخضوع للحقائق، والقوانين من أساسيات قيام الواقعيّة، فالكاتب الواقعيّ هو المعبِّر عن مجتمعه، ولسان حالهم،وصورتهم بالنّسبة للآخر.

ومما سبق نستخلص أنَّ الواقعيّة مأخوذة من الواقع الذي نعيش فيه، وهو نوعان:

- **واقع حقيقي:** وهو إذا ما نُقل، ووُصف يكون صورة طبق الأصل عن الواقع حقيقة الإنسان، والطّبيعة.

- أما **الواقع الفنّي:** وهو الموجود في الأدب يُركِّز في إبداعه على واقع لا يشترط فيه أن يكون واقعيًّا تمامًا، صحيح أنه يأخذ، ويَستلهم، وينطلق من الواقع الحقيقي، لكنه يُحوِّر فينقص، ويزيد ليشكل واقعًا ماهو بنسخة مماثلة للواقع الحقيقي، وإنَّما محاكيًا له بطريقته الخاصة، لأنَّ الكاتب هو المتحكّم فيه، والمشروط عليه ليس النّقل الحرفي، أو النّسخ التّام، بل الصّدق الفنيّ مثله مثل: الفنان في تعامله مع لوحته فهو يستقي ويستلهم صورتها من الواقع، إلا أنّها تخرج وفق منظوره،ومبتغاه.

ابتعد الكاتب الواقعي عن عالم الأساطير، والوحوش، والخرافات،والأحلام ؛ فالذّي يهم هو الإنسان بلحمه، وشحمه، ومشاعره من أفراح وأحزان، وآماله، وتطلعاته، الإنسان المرتبط بأرضه، وطبيعته، وكيانه، وما يحيط به من النّاس من مختلف الطّبقات والأجناس.

---

[1] – نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيّة في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص 324.

2. نشأة الواقعيّة وأهم أعلامها:

1.2 نشأة الواقعية:الوقتالتي كانت فيه الرّومانسيّة تهيم،وتحلم في سماء الخيال، والأبراج العاجيّة ، والنّزعة الذّاتيّة(...) كان العلم يتقدم، ويرسِّخ قواعده بالاكتشافات،والتّجارب العلميّة ، ويسعى للتّوصل إلى نتائج حقيقة لإدراك مكنون البشر، وإثبات حقائق الكون .

وفي ظلِّ هذه الظروف « **وجد رجال الفكر في أوروبا أنفسهم خلال القرن التاسع عشر أمام ذلك الواقع العلمي الغلّاب، فلا يسعهم إلَّا أن يؤمنوا به، ويتخلّوا عن انطوائهم وعزلتهم (...)، وهكذا نشأ المذهب الواقعيّ على أسس وطيدة من الإيمان بالعلم، وتجاربه وخصائصه وتطبيقاته** »[1]

بداية الواقعيّة في نشأتها التاريخيّة كانت عبارة عن دعوة بدأت في أواسط القرن التّاسع عشر ردًا على الدّعوة الرّومانيّة أو المجازيّة، وترتيبها في سلسلة الدّعوات التي نشأت بعد عصر النّهضة يأتي في المكان الرابع بعد دعوة الإنسانيين، ودعوة السّلفيين المحدثين ودعوة الرّومانيين أو المجازيين[2*]. ظهرت الواقعيّة كردّفعل على المدرسة المجازيّة. فهذه الأخيرة تؤمن بالخيال، والجمال، وطغيان الجانب الشّخصي ؛ لذا جاءت الواقعيّة لتنكر النّزعة الذاتيّة

---

[1] – فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الأدب، مرجع سابق، ص 194.

[*]- في عصر النهضة حوالي القرن الخامس عشر، أخذ الأوربيون في الكتابة باللّغات الوطنيّة بعد أن كانوا يكتبون الأدب والعلم باللاتينيّة أو الإغريقيّة، ونتيجة تضارب القواعد والأحكام في اللّغات هو ما أدى إلى استمرار الفوضى في الصيغ والأساليب لدى دعاة المدرسة الإنسانيّة. وهو ما أدى إلى ظهور الدّعوة السّلفيّة الحديثة التي تدعو إلى إتباع أساليب السلف بنمط جديد. أو تسمى أيضا الدّعوة الإطرادية ؛ لأنَّها تدين بالإطراد على سنة متبعة. ودامت ثلاثة قرون إلى أن جمدت إبان عصر الثّورة الفرنسيّة. لتظهر مدرسة الرّومانيين أو المجازيين. تحاول أن تجعل لكل كاتب أو شاعر نصيبًا من الحرية الفرديّة إلى جانب القواعد المقررة في الأساليب العامة، وتعرف بالرّومانيّة لأنه شاع هناك أقاصيص كانت تعرف في الغرب باسم الرومان. ينظر: عباس محمود العقاد، دراسات في المذاهب الأدبيّة والاجتماعيّة، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2، 2006م، ص 27، 28.

[2]-المرجع نفسه: ص27.

التي تطغى على الشّاعر، والكاتب ليخرج عالم على حسب أهوائِه، وهذا ما يبعد عن الواقع المعاش الذي فيه القبح لا الجمال فحسب.

وكان للفلسفة دور كبير في نشأة، وتطور الواقعيّة ففي «**العصور الحديثة اتجهت الفلسفات نحو الواقع، واتخذت لذلك صورًا وأشكالًا مختلفة. فكانت الفلسفة الاجتماعيّة أو الاشتراكيّة تعنى بإصلاح المجتمع لإسعاد الفرد، ثم الفلسفة الوضعيّة أو التجريبيّة، ثم الفلسفة الماديّة التي تجعل من الفرد صدى ونتيجة لعوامل مادية،وأخيرًا فلسفة الوجوديين** »[1].فقد اتجه الفن نحو الواقع بفضل تأثير الفلسفات بمختلف توجهاتهم خاصة الفلسفة الوضعيّة أو التّجريبيّة القائمة على التّجربة، والسِّيادة لسلطان العلم.

ويؤكد الدكتور **صلاح فضل** بأسبقيّة ظهور الواقعيّة في الفلسفة على الأدب بقوله: « **كانت الفلسفة أسبق من الأدب في استخدام مصطلح الواقعيّة وتداوله بزمن طويل، وإن كانت تضفي عليه دلالة تختلف على المفهوم الأدبي له إلى حد كبير.**»[2]، غير أنَّ مدلول كلمة الواقعيّة لم يتحدد بدقة إلّا من خلال « **خصومة حادة نشبت في منتصف القرن الماضي بين بعض النقاد التّشكيليين من جانب، وكاتب قصصي من الدّرجة الثّانية هو "شامفلوريChampfleury" من جانب آخر ؛ إذ قام هذا الكاتب عام 1857 بنشر مجموعة من المقالات الأدبيّة في مجلد أُطلق عليه اسم الواقعيّة.كما أصدر مع أحد أصدقائه مجلة أدبيّة قصيرة العمر تحمل نفس التّسمية "الواقعيّة"، (...)، وقد بلورت في هذه الكتابات النّقديّة المبادئ الأولى للواقعيّة**»[3]

---

[1] – محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، (د. ط) ، 1997م ، 311 .

[2] – صلاح فضل : منهج الواقعيّة في الإبداع الأدبي ، مرجع سابق ، ص 11 .

[3] – المرجع نفسه : ص 13 .

إلا أنَّ الدّكتورة **ليلى عنان** في كتابها **الواقعيّة في الأدب الفرنسي** تقرُّ بأنَّ « **أول مرة أُستعمل فيها كلمة واقعيّة كان مع الرّسام كوربيه*** **سنة 1855م حيث كتبها وهو يعني بها وقت ذاك معنى محددًا يشير إلى نظريّة فنيّة كانت يومها تعتبر ثوريّة، الكلمة في ذاتها لم تكن جديدة، وإن كانت محدثة. فالواقعيّة اسمًا ظهرت سنة 1803م برغم أنّ صفة واقعي كانت معروفة من أكثر من قرنين من الزمان قبل هذا التّاريخ** »[1].

في حين نجد الدّكتور **عبد الرزاق الأصفر** في كتابه **المذاهب الأدبيّة لدى الغرب** يُرجع تاريخ ظهورها إلى سنة 1826م، بقوله:« **لم تبرز الواقعيّة مدرسة مستقلةواضحة السّمات إلا بعد منتصف القرن التّاسع عشر ؛ إلّا أنّ معالمها بدأت بالتّكوّن والظّهور منه عام 1826م.أي في إبان الفترة الرومانسيّة ولم يكن اصطلاح الواقعيّة قد ظهر بعد لأن الاصطلاح يأتي متأخرًا (...)** »[2].كما يضيف بأنّ هذا الاصطلاح لما انتشر كان يقصد به المذهب الذي يستقي عناصره من الطبيعة مباشرة.

وقد تفرعت وتمددت الواقعيّة لتُسيطر على معظم الإنتاج الأدبيفي ذلك العصر، لا سيما وأنّ النّاس قد كرهوا من أحلام الرومانسيّة، وأصبحوا يرغبون في واقع حقيقي.« **غير أنّ الواقعيّة قد عرفت أوجها مع بلزاك، فقد كان أثر بلزاك حاسمًا في انتظار الواقعيّة إذ أنَّه هو الذي أدخل مصطلح Milieu الفرنسيّة التي تعني البيئة أو الوسط بكل موحياته المتشابكة في الأدب ونقله عنه علماء الاجتماع، وكبار النقاد والكتاب مثل: تين**

---

*- غوستاف كوربيه: Gustave courbet (1879 – 1877)، رسام فرنسي، درس القانون، ثم الرّسم لأنه كان مولع به منذ الصِّغر، طوّر عبر لوحاته الأسلوب الواقعي، حيث صوّر المشاهد بكل صدق وحقيقي دون مبالغة، توفيّ في سويسرا، من لوحاته: امرأة فقيرة من القرية، جو،الإيرلنديّة الجميلة، أرجوحة، مغربلات القمح (...). ينظر: متحف، فنانون تشكيليون، غوستاف كوربيه،www.mathaf.gallery، اطلع عليه: 2019/04/22م، الساعة: 23:21.

1– ليلى عنان: الواقعية في الأدب الفرنسي، دار المعارف،القاهرة، مصر، (د. ط)، 1984م، ص4.

2 – عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 136.

وزولا،وتعدُّ مقدمته التي كتبها عام 1842 لمجموعته القصصية الكبرى " الكوميديا البشريّة " والتي أذاع فيها هذا المصطلح لأول مرة بمثابة إعلان عن المذهب الواقعي »[1]. وأكبر دليل على فشل خيالات، وأشباح الرومانسيّة، وتأكيد **بلزاك (Balzac)**. على واقعيّة الحياة أنّه استعمل كلمة " البشريّة " عوض " الإلهيّة "، أمّا أوج وأعظم قمة للواقعية فبلغتها مع رواية **مدام بوفاري لفلوبير** عام 1857م.

أمّا في «**الولايات المتحدة الأمريكيّة فسرعان ما ترددت أصداء الواقعيّة الفرنسيّة حيث تحمس لها بعض النقاد الذي تزعمهم هنري جيمس*** **حوالي 1864م، ونصح بدراسة النظام الواقعي الشهير، موجِّهًا حديثه إلى أحد القصاصين الشبان، الذِّين لم يرهفوا حواسهم بالقدر الكافي لتلقي الواقع، ومن هنا فإنَّ هذا الكاتب قد أُعتبر بعد ذلك حامل لواء المدرسة الواقعيّة الأمريكيّة** »[2].

لم تكتفِ الواقعيّة بالظهور والتألُّق والازدهار، وإنَّما راحت تهاجم معظم المدارس الأدبيّة، وقد فصّل فيها الدكتور **نسيب نشاوي** في كتابه **مدخل إلى دراسةالمدارس الأدبيّة في الشعر العربي المعاصر** ؛ فأظهر تلك الحروب من حرب الواقعيّة على الكلاسيكيّة،ومحاربتها للرومانسيّة، والرمزيّة،والبرناسيّة، والرمزيّة،والبرناسيّة(الفن للفن)، وبقيّة المذاهب الأدبيّة الأخرى، وقد أورد العديد من الأمثلة على ذلك [3].

---

[1] – صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مرجع سابق، ص 15.

*- هنري جيمس : (1843 – 1916) روائي وناقد بريطاني من أصل أمريكي ولد في نيويورك ، والده "هنري جيمس سير" أحد صفوة العلماء في القرن التاسع عشر ، بأمريكا ، أعظم أساتذة النّمط القصصي، مؤسس الواقعيّة، وهو سيد الرّواية الأمريكيّة بلا منازع ، ينظر : هنداوي : كتب ومؤلفات الكاتب هنري جيمس (د ت) ، https://hindawi.org ،اطلع عليه يوم : 2019/04/24م ، الساعة : 21:05 .

[2] – صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مرجع سابق، ص 18.

[3] – ينظر: نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 339.

أمّا بالنّسبة لنشأة الواقعيّة لأدبنا العربي، فيؤكد العديد على النقاد على وجود جذور لها منذ القديم، ومنهم **محمد مصايف** والذّي يسميها «**بالواقعيّة الأولى وذلك في بعض تطبيقاتها، عندما اهتمت بوصف حالة العرب في حلّهم وترحالهم، وفي حروبهم فيما بينهم تارة، وفيما بين الروم والفرس تارة أخرى. بَيْد أنّ الأدب السياسي في القديم يختلف عن الأدب السياسي اليوم، ومن ثم فهو ليس أدبًا ملتزمًا، وإذا كان قد وصف الواقع العربي الذي كان يتمثل في العصر الجاهلي على الأقل في حروب العشائر والخلافات القبليّة فإنّ موقفه من هذه الحروب، والخلافات لم يكن موقفًا قائمًا على وعي إيديولوجي تام** »[1].لكن العربي القديم كان قوميًّا بامتياز، وأمان، ومنفعة قبيلته هي كيانه، وهذا لا يُجرِده من الالتزام، فهو أدب ملتزم، وثم بطبيعة الحال القديم يختلف عن الحديث.

نجد كذلك **طه حسين** يؤكد على وجود الواقعيّة في الأدب العربي القديم بقوله:« **كان أدبنا العربي القديم واقعًا قريبًا من النّاس، مشتقًا من حياتهم حتى قال فيه القائلون من أهل الغرب، إنه كان قليل الحظّ من الخيال، لأنّ أدباءنا من العرب القدماء لم يبتعدوا، ولم يعيشوا في السّماء، وإنّما عاشوا في الأرض كما عاش فيها غيرهم من الناس.وأشد من هذا كله غرابةً أن هذه الواقعيّة لم تُقصَر على العرب، وإنّما عرفها الأدباء من شعراء اليونان والرومان وخطبائهم وكُتَابهم . فأتيح لهم مثل ما أُتيح لأدباء العرب من البقاء والخلود** »[2]

كان العربي القديم يهتم بأكله، وشربه، وأسرته،وقبيلته، وجميع ممتلكاته؛ لذا فهو يعطي قيمة لأخيه الإنسان. فمثلًا: رئيس قبيلة لما يأتي شخص يستنجد به ليحميه، يوافق مباشرةً،

---

[1] – وهيبة دربالي: الرّؤية النّقديّة وتطورها عند واسيني الأعرج، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة المسيلة،كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2009م، 2010م، ص 16.

[2] – طه حسين: من أدبنا المعاصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د. ط)، (لا. ت)، ص 19.

وهذا الوعد بالحِمَى قد يؤدي به للقيام بالعديد من المعارك ضد طالبي الشّخص إلّا أنَّها لا تستسلم، وتسلم الشّخص، فهي تهتم بالإنسان بلحمه، وشحمه،وشخصه ككل،فهذا كله ما صورة الأدب القديم بالتفصيل لمثل هذه الأحداث. ومن هنا كانت الواقعيّة دون أن يشعروا.

وقد«**وجه النقد الأدب إلى هذه الواقعيّة. فظهرت بعض أعمال قليلة في القصة القصيرة، وفي الرّواية والمسرحيّة المعاصرة، متأثرة بهذا الاتجاه، من مثل بعض قصص يوسف إدريس القصيرة، وأرض النفاق ليوسف السباعي، ورواية الفلاح الجديدة للشرقاوي، ومن مثل مسرحية طريق السلامة لسعد الدين وهبة، وغيرها من الآثار الأدبيّة الواقعيّة** »[1].بالإضافة ل**محمد تيمور** الذّي أُعتبر أبًا للواقعيّة العربيّة ؛ حيث دعا في مقدمة كتابه **الشيخ جمعة وقصص أخرى** إلى الأخذ بالمذهب الواقعيّ في التّأليف القصصي. كما ظهرت في كتاب **طه حسينالمعذبون في الأرض، وتوفيق الحكيم** في **يوميات نائب في الأرياف** وغيرهم كثير.

ويذهب الدّكتور **محمد عزّام** في كتابه **فضاء النّص الرّوائي** أنَّ « **الكتاب المصريّين هم أول الأدباء العرب الذّين أدخلوا مفهوم الواقعيّة في الأدب الحديث وفي مقدمتهم: سلامة موسى، ولويس عوض، ومحمد أمين العالم، ومحمد مندور (...)** »[2].ويضيف أنّ الأدباء كانوا « **أبرز الأصوات التي بادرت إلى الدّعوة لفهم الواقع فهمًا علميّا، (...)، ورغم أنّ كتاباتهم كانت تتسم بالشّموليّة، وأحكامهم كانت تعميميّة، فإنّها ذات نغمة تبشيريّة، وعمّت مفاهيم (الأدب للشعب). وهو اسم كتاب سلامة موسى (...)،وكتاب (في الثّقافة**

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1995م، ص 157.

[2] – محمد عزّام: فضاء النّص الرّوائي، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار، اللّاذقيّة، سوريا، ط1، 1996م، ص 149.

المصريّة لمحمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس. بمثابة بيان لهذا المذهب الأدبي الجديد.»[1]

وقد ذهب بعد ذلك مصطلح **الواقعيّة** في الانتشار في الوطن العربي.لتصبح فيما بعد أهم المذاهب الأدبيّة التي تأثروا وأثروا بها الكُتاب العرب. ولهذا ألَّف النّقاد العرب العديد من الكتب النقديّة التي حاولوا من خلالها الإلمام بجميع نواحي الواقعيّةوتمظهراتها.غير أنَّ المتأمّل للنقد العربي يجد أنّه قد اقتصرت الواقعيّة في نقدنا العربي على تيارين:« **أحدهما: يعرض لها بشكل مبتسر عام، ويخلط بينها وبين الطبيعة التي تتّسم بالتّشاؤم، وتغرق في مستنقع السلبيات الآسن. وتغفل ما في الحياة من قدرة على التّفوقوالشعر. والثّاني: يغرقها في الحمام الإيديولوجي الماركسي بطريقة مذهبيّة متعصبة، متجاهلًا انتصار الواقعيّة النقديّة في الآداب الغربيّةوالعربيّة على السّواء »**[2].

أما الواقعيّة في الجزائر فهي موجودة منذ القديم، لأنّ الجزائر عرفت الاستعمار ؛ لذا فالمعاناة، والذّل،والاضطهادتجدر في تاريخ حياتها.والأكيد أنّ هذا ما نجده متجسد في أدبها، ونجد أنّ براعم الرِّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة ظهرت وهي متشربة، ومؤكسدة بالواقعيّة، وهذا للواقع المزري الذّي كان يتمخض فيه المجتمع الجزائري بسبب الاستعمار الفرنسي. فالكاتب العظيم هو الذي يلتزم بقضايا عصره، ويعمل على إعطائهم جرعات التفاؤل لمستقبل أفضل.

وهو ما نجده في روايات كل من **محمد ديب**، و**كاتب ياسين**، و**آسيا جبار**، و**مولود فرعون**، و**مولود معمري** (...) وغيرهم كثير. ليأتي فيما بعد في السبعينيات العديد من الأدباء الذين واصلوا المشوار على نهج الواقعيّة، وألفوا روايات « **تلامس الواقع،وتغوص**

---

[1] – المرجع نفسه: ص 150.

[2] – صلاح فضل: منهج الواقعيّة في الإبداع الأدبي، مرجع سابق، ص 8.

فيه، وتنخرط في تقليد عريق للواقعيّة منذ طاهر وطار، وبن هدوقة. أعتقد أنّ الجيل الثاني في من أمثال: واسيني الأعرج، ومحمد ساري، ومرزاق بقطاش، وأمين الزاوي، وغيرهم واصلوا على درب المؤسسين لخوض غمار التّجربة العميقة في مقاربة الواقع والتّاريخ »[1]فالكثير من الأدباء الجزائريين اتخذوا من الاتجاه الواقعي وسيلة لوصف، ونقل واقع مجتمعهم الجزائري.

واكب المذهب الواقعي في الجزائر ظهوره في المشرق العربي، وبفضل العديد من كتابهاالبارزين فقد شيدوا له ركيزة مهمّة، وقويّة مازالت آثارها راسخة على مرِّ الزّمن في سماء الأدب العربي.

2 . 2 أهم أعلام الواقعيّة:

من أهم أعلام الواقعيّة الذّين أرسوا دعائم المذهب الواقعي بالتحديد، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- **بلزاك Honoré de Balzac** (1799م – 1850م): استهل بلزاك حياته فيسلك الكهنوت، ثم ما لبث أن اتجه إلى الأدب والعمل في الطّباعة والنّشر، برزت مواهبه في عام 1828م [2]. كتب ما يقرب من مائة وخمسين رواية جمعها في آخر حياته في مجموعات بحسب موضوعها، وصوّر فيها كافة المهن، والأوضاع الاجتماعيّة، والطّبائع المتباينة. وأطلق عليها اسما عامًا وهو الكوميديا البشريّة، وفيها نجد البخل، والخسّة والوصوليّة، والخداع، والنّفاق، والوقاحة (...)[3]. ويعدُّ بلزاك أحد المبشرين بالحركة الواقعيّة ؛ بحيث كشفت كتاباته عن وعي إيديولوجي يخدم قضايا العمال الكادحين. كما وضع المبادئوالقواعد

[1] – الجمعي بن حركات التّشكيل الفنّي والرّؤيّة الواقعية في الكتابة الرّوائيّة عند طاهر وطار مقاربة تحليلية، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر،2016م، 2017م، ص 274.

[2] – ينظر: عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 146.

[3] – محمد مندور: في الأدب والنقد، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1988م، ص 110.

التّي تحكم هذا التّيار في مقدمة الكوميديا البشريّة التي كتبها مابين (1829م – 1948م)، فهذه المقدمة تعدُّ بيانًا نظريًا مؤسسًا للمذهب الواقعي، كما يعتبر بلزاك أبًا للواقعيّة في فرنسا، إلى حد أنّها تنسب إليه في كثير من الأحيان، فيقال مثلًا:**واقعية بلزاكيّة**[1]. ومن أبرز رواياته: « **الأب غوريو وأوجيني غراندیهورتابق الواديوبالثازارو ابن العم بون وابنة العم بت وعائلة شوانو طبيب القرية والفلاحون والبحث عن المطلق** (...) »[2]. كرَّس بلزاك حياته لخدمة المذهب الواقعي، ونقل أحوال مجتمعه بكل صدق بعيدًا عن عاطفته.

- **هنري ستندال H. B. Standhal(1783م – 1842م)**:كاتب واقعي جاء في أوج الرّومانسيّة، لكنه رفضها رفضًا قاطعًا، كتب في التّاريخ، والجغرافيا،والتّراجم، ثمَّ ألَّف كتاب **الحب** بالطّريقة النّفسيّة وكتاب **راسين وشكسبير** بالطّريقة النّقديّة. وأصدر أولى رواياته **الأحمروالأسود** عام 1831م. وقد رمز بالأحمر إلى الثّورة والصّراع لأجل الحريّة.وبالأسود إلى الكنيسة التّي سخِر منها. وفي عام 1839م كتب روايته **ديريارم**. يُعدُّ ستندال أحد أساتذة الفكر في عصره، بسبب نفوذه إلى أعماق النّفس البشريّة، وحبّه للقوة، وأسلوبه الشفاف، وكان له تأثير واضح في بعض النّقاد مثل:**تين** وبعض الرّوائيين مثل:**بول بورجيه**.[3]
- **إيميل زولا Emile Zola (1840م – 1902م)**:هو من أبرز ممثلي المذهب الطّبيعي في الأدب. نشأ في باريس، عمل في عدّة مجالات منها: الطِّباعة، والصحافة مما قربته من الأدباء. درس نظريات الفيلسوف **تين** في العلم الوصفي، ونظريّة الوراثة الطّبيعيّة فأدخلها في الرّواية، وتعقب دورها في أفراد عائلة **روغان ماكار** وغيرها من الأجيال. كتب روايات كثيرة مثل:**معدة باريس** (سوق الهال) و**أوجين روغون والحانة** (وهي حول حياة العمل وإدمانهم الخمرة)، و**الأرض** (...).كان زولا أمينًا في تصوير الحياة الواقعيّة، وصعود

---

[1] – ينظر:الجمعي بن حركات: التشكيل الفني والرؤية الواقعية في الكتابة الروائية عند طاهر وطار، مرجع سابق، ص 266، 267.

[2] – عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 147.

[3] – المرجع نفسه: ص 152، 153.

البرجوازيّة الفرنسيّة في أثناء الإمبراطوريّة الثّانية، وكتب عن الحياة التّجاريّة، والمنافسة والمال، وهاجم الكاثوليكيّة ووضع العلم بديلًا عنها. وكان يقدِّم قناعاته في رواياته، بخلاف بلزاك،وفلوبير الحياديين، وهو يُعرِّفُ الفنّ بأنَّه:**الطبيعة من خلال مزاج**[1].

- **غوستاف فلوبير G. Flaubert(1821م – 1880م)**:كان فلوبيرابن طبيب جراح، قام بالعديد من الرّحلات، وشغف بجمال الطّبيعة وروعة الآثار، وراقب أحوال المجتمع، وانتقد الطّبقة البرجوازية فصوَّر سطحيتها ودنو مطالبها. يعدُّ من أبرز كتاب الواقعيين، وقد أثارت رواية **مدام بوفاري** ضجة كبيرة في عالم الأدب والنّقد، وقد ألَّفها ونشرها عامي (1829م – 1840م)، وهي تدور حول حياة وحب امرأة عاطفيّة غامضة لا تتورع مع سأمها من ارتباك الخيانة الزّوجيّة، وتنتهي بالانتحار (وقد حُوكم عليها أخلاقيًا بتهمة عدم احترام الجانب الأخلاقي).تتميز هذه الرّواية الواقعيّة الدّقيقة في وصف الأشخاص، والطِّباع، والبيئة، والمظاهر الاجتماعيّة، وألَّف رواية أخرى من وحي الشرق هي **سالامبو** 1862م (تدور حول حب ماتو الليبي،وسالابو ابنة هاميلكار القرطاجي)، وله رواية ثالثة كتبها عام 1862م هي **التّربية العاطفيّة**.تمتاز واقعيته بحياء الكاتب واختفاء شخصيته، وقد كتب « **يجب أن يتصرف الكاتب بحيث يشعر الأجيال القادمة أنه لم يكن موجودًا قط(...)**» [2].

- **مكسيم غوركي Maxime Gorki (1868م – 1936م)**:روائي، ومسرحي روسي، نشأ في عهد القيصريّة ؛ حيث كانت الثّورة تختمر في أوساط الشّعب. ذاق مرارة الفقر واليتم، بدأ في كتابة القصة ثم الرواية مثل:**مواطنون مأفونون**، و**ذكريات من طفولتي**، و**حياتي**، و**المشردون(...)**، والكثير من المقالاتوالمسرحيّات. تميز غوركي بأدبه السّهل، والجذّاب الذّي يُعبِّر عن تجاربه الشّخصيّة، وعن التّطور الثّوري الاجتماعي. وأصبح

[1] – عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبيّة لدى الغرب، مرجع سابق، ص 153، 154.

[2] – المرجع نفسه : 159، 160.

كاتب الثّورة البلشفيّة، والواقعيّة الاشتراكيّة التّي تسعى إلى تصوير الواقع المرير وتناقضاته، ونقائصه لتنطلق إلى النّضال في سبيل عالم جديد يقود الإنسان إلى العدالة والمساواة والأخوة والسّلام.[1]

أمَّا الواقعيون العرب، فنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- **نجيب محفوظ (1912م – 2006م)**:تميز بالعديد من الصّفات الحميدة، (...)،ورغم عدم توافر الحرية السّياسيّة في زمنه إلا أنّه تمرد عليها، وفكَّ قيد الكبت والخوف من السّلطة،فواقعيّته كان لها ألف وجه يصدمنا في كلِّ مرة على نحو جديد. بدأ الكتابة قبل تخرجه بأربع سنوات من قسم الفلسفة بجامعة القاهرة. وقد تخرج عام 1934م.أول رواية كتبها عام 1939م وهي **عبث الأقدار**، وله حوالي 46 مقالة.ومن أعماله في الواقعيّة الاجتماعيّة نجد: في **القاهرةالجديدة**، و**خان الخليلي**، و**زقاق المدق**، **السراب**، و**بداية ونهاية** ثم **الثلاثية**، أما في الواقعيّة الرمزيّة: **أولادحارتنا**، **اللّص والكلاب**، **السّمان والخريف**، و**الطّريق**، و**الشحات**، و**ثرثرة فوق النّيل**، و**ميرمار**.[2]
- **طه حسين (1889 – 1973)**:من أعماله:**المعذّبون فوق الأرض**، **شجرةالبؤس**، **دعاء الكروان**.
- **مولود فرعون (1913 – 1962)**:روائي، وشاعر جزائري، ولد بقرية **تزي هيبل**في تيزي وزو، تخرج من دار المعلمين الابتدائية ببوزريعة سنة 1935م. تقلد وظائف إدارية،

[1] – ينظر: عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 161، 162.

[2] – محمد زكي العشماوي: أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية الشعر، المسرح، القصة، النقد الأدبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر (د. ط)، 2000م، ص 337، 345.

تربويّة كثيرة، من أعماله: **نجل الفقير، الأرض والدّم، الأيام في بلاد القبائل، الدّروب الوعرة، اليوميات.**[1]

- **عبد الحميد بن هدوقة (1925م – 1996م):**ولد بمدينة المنصورة ولاية سطيف، من مؤسسي الرِّواية الجزائريّة المكتوبة بالعربيّة بجانب الطاهر وطار، ارتبط إبداعه بهموم الإنسان الجزائري، والتونسي معًا، يصنف النّقاد أعماله ضمن التِّيار الواقعي، وواقعيّته نوعان: تميزت فيها كتاباته بتسجيلية تقليديّة، بينماالثانية: تحولت إلى واقعيّة فنيّة (نقديّة تشاؤميّة تارة، واشتراكية تارة أخرى)، من مؤلفاته:**ريح الجنوب،نهاية الأمس،بان الصبح،الجازية والدراويش،** وفي القصة:**طلال جزائرية، دار الحياة، الأشعة السّبعة،** وله في الشعر، وترجمات كذلك.[2]

- **الطاهر وطار (1936م – 2010م):**عمل بالصّحافة والإذاعة، لم تبقى رواياته سجينة الواقعيّة الاشتراكيّة بل انفتحت على مناخاة فنيّة أخرى لتستفيد من السّرياليّة والعجائبيّة. وهذا ما جعلها نصوص متجددةومتحرِّرة. منها:**دخان في قلبي،الشّهداء يعودون هذا الأسبوع، اللاّز، الزِّلزال،عرس بغل، العشق والموت في زمن الحراشي، (...).**[3]وغيرهم كثير ممن اتخذوا من الواقعيّة سبيل، ووسيلة لتصوير حالة شعوبهم من معاناتهم، وآلامهم، بكل صدق، وموضوعيّة. وهذا المقام لا يسمح بذكرهم جميعًا.

---

[1] – محمد زكي العشماوي: أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية الشعر، المسرح، القصة، النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 672.

[2] – ينظر:حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د ط)، 2015م، ص 422.

[3] – المرجع نفسه: ص 409.

3 . خصائص الواقعيّةواتجاهاتها:

1.3 . خصائص الواقعيّة:للواقعيّة خصائص تميزها عن غيرها من الاتجاهات، ويمكن إيجازها فيما يلي:

- النّزول إلى الواقع الطبيعيوالاجتماعي والانطلاق منه.
- حياديّةالمؤلف.
- التّحليل ؛ البحث عن العلل والأسباب والنّتائج لكل ظاهرة.
- تفضيل النّثرعلى الشعر لأنه اللّغة الطبيعيّة للنّاس فاختاروا جنس القصّة،والرِّواية، المسرحيّة.
- اللّغة المأنوسة الواضحة البعيدة عن التّكلف.
- الإبداع والخلق ؛ تركيب عالم شبيه بالواقع، وليس نسخة منه.
- البعد عن التّقرير، والمباشرة، والخطابة،والوعظ.
- تجنب الإكثار من التفصيلات التّافهة.
- التّحليل وعدم التّسطح.
- براعة الوصف والتّصوير على المستوى الدّاخلي، والخارجي لجذب القارئ.
- براعة النّمذجة ؛ أي رسم النّماذج الإنسانيّة المختلفة.
- استعمال العاطفة مع إرضاء الحاجات الفكريّةوالخياليّة.
- تلاحم الشكلوالمضمون.[1]
- السّعي إلى عرض الحقيقة.
- معالجة الموضوعات العاديّة.
- استخدام التّفاصيل النّوعيّة المعتمدة على دقّة الملاحظة.
- تفسير الحياة ومواجهتها بشجاعة دون تهرب.

[1] – عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، مرجع سابق، ص 141، 142.

- تفضيل التّصوير اليومي على الخيال الشّعري المتكلّف [1].

2.3 . اتجاهات الواقعيّة:تنقسم الواقعيّة إلى ثلاثة (3) اتجاهات رئيسة وهي:

1.2.3 . الواقعيّة الطبيعيّة: وتسمى أيضًا بالمذهب الطبيعي، وهي فرع للواقعيّ

الأم* تَكوَّن في نهاية القرن التّاسع عشر على يد **إيميل زولا**، ولم تتحدّد هويّته إلا في القرن العشرين، ومن **خصائصها**:المبالغة في الالتزام بالواقع الطبيعي، الإخلاص الكامل للعلم الطبيعي والفلسفة الماديّة والوضعيّة، عدم الحياد، النّظرة إلى المجتمع في إطار الوحدة الكليّة المتماسكة، التفاؤل والأمل واليقين بانتصار العلم والحب [2]. فقد نقلت الواقعيّة الطبيعيّة الواقع الطبيعي بكل دقة حتى الأمور القبيحة، والمقرفة، والدّنيئة منها.فهي تصوّر الواقع من الوِجهة الماديّة العقلانيّة، وهي تنقل بكل مصداقيّة، وتحارب الظّلم، والفساد المادي، والسّياسي، والأخلاقي، مع التّفاؤل الدائم، والعلم المؤكد بأنَّ الحب، والعلم هو أساس التّقدم والإصلاح.

إلا أنَّ هذا الاتجاه كغيره من الاتجاهات لم يسلم من النّقد « **فقد ظهرت في هذا الاتجاه اللامبالي الكوميديا الطّبيعيّة وما سميّ بالمسرح الحرّ، الذّي كان لا يعبأ بأي نقد أو رقابة سوى حكم الجمهور. وقد بالغ في التّشاؤم وعرض المخازي، واستخدام اللّغة المكشوفة البذيئة حتى أصبح ممجوجًا. وسرعان ما انسحب أمام المسرح الواقعي**

---

[1] – نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 324.

*-الواقعيّة الأم: وتسمى أيضًا الواقعيّة الأوروبيّة أو المتشائمة أو النّاقدة، والمقصود بها المذهب الواقعي الأصلي الذّي ساد في فرنسا، وبلاد أوربا لدى معظم الكتاب بشكله العام مع الاحتفاظ بالاختلافات المحليّة والفرديّة وتعدُّد الألوان ضمن التّيار الواحد ؛ وبشكل أكثر تحديدًا للواقعيّة قبل أن تتفرع منها الواقعيّة الطّبيعيّة، والواقعيّة الاشتراكيّةالجديدة.ينظر: عبد الرّزاق الأصفر، المذاهب الأدبيّة لدى الغرب، مرجع سابق، ص 137.

[2] – المرجع نفسه: ص 142، 144.

المتفائِل.»[1]، فهذه المبالغة بالمادي والملموس، والالتصاق الشّديد بالطبيعة هو ما أدى إلى نقدهم بشدّة، ونجد كذلك في هذا الصّدد إشارة « **الأستاذ جورج طرابيشي إلى النّزعة الحتميّة، التي تميزت بها هذه الواقعيّة، بحيث تنفي على الإنسان حرية الإرادة والاختيار، ويؤكد أن العديد من مشرعيها رأوا في الإنسان حيوانا تسيره غرائزه، وحاجاته العضويّة (...)، وقد عبّر "إيميل زولا" عن هذا التّصور حين أُطلق على إحدى رواياته اسم "الحيوان البشري"** »[2]. فهذه العيوب والنّقائص هي من مهّدت لظهور الاتجاه الواقعي النّقدي.

2.2.3 . الواقعيّة النّقديّة:

يعود تاريخ ولادة الواقعيّة النقديّة إلى أواخر العشرينات في القرن التاسع عشر « **أما ازدهارها فكان في أوربا الغربية في الثلاثنيات والأربعنيات. ففي هذه الأعوام ظهر إبداع ستندال وبلزاك وفلوبير في فرنسا، وديكنز وغيره في انكليترا، وهايني وغيره من الشّعراء الثّوريين في ألمانيا** »[3].ولقد كان لها إسهام كبير في التّطورات الفنيّة، حيث طورت الجنس الرّوائي، فمن خلال هذا الأخير كشفت عن عيوب المجتمع، وما يعنيه ويتخبّط فيه من آفات وتناقضات وصراعات، فتمكنت من الوصول إلى لب المشكلة، فكان إسهامًا إيجابيًا.وهذا يتجلى في الأعمال الرّوائيّة ذات الاتجاه الواقعي النّقدي بحيث أنّ « **مهمة الأديب ليست**

---

[1] – عبد الرّزاق الأصفر: المذاهب الأدبيّة لدى الغرب، مرجع سابق، ص 144.

[2] – نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيّة في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 327.

[3] – فؤاد مرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبية، منشورات جامعة حلب، سوريا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط2، 1980م، 1981م، ص 200.

هي مسح الواقع، وتسجيله بل هي اقتناص ما في هذا الواقع من سمات إنسانيّة مشتركة، ونقله إلى صورة تحفظ له الخلود. »[1]

وتتلخص المبادئ الجماليّة الأساسيّة للواقعيّة النّقديّة في:« **الكشف الشامل عن العالم الداخلي للإنسان كما يطرحه العالم الاجتماعي. تعميم الحياة في شخصيّات وظروف نموذجيّة، التّحليل الاجتماعي والنّفسي للشّخصيات في صلاتها ببعضها البعض. النّظرة التّاريخيّة، موضوعيّة التّصوير، إعادة خلق حقائق الحياة في أشكال الحياة الواقعيّة ذاتها** »[2].تسعى الواقعيّة الطبيعيّة طلبًا للحقيقة، الواقعيّة الواعيّة، فتنقل الواقع بكل بشاعته بالاستعانة بالتّاريخ والتّطور العلمي، وهو ما ساعد على صياغة طريقتهم الفنيّة.إذ أنَّ الإفصاح التّام عن مشكلات المجتمع، وخباياه سواء في الجانب الأخلاقي أو السياسي أو الاقتصادي هو ما أدى إلى هجوم عنيف على واقعيّتها. كما حصل لـ**رواية مدامبوفاري**لـ**فلوبير**.

3.2.3 الواقعيّة الاشتراكيّة:

ظهرت الواقعيّة الاشتراكيّة في العصر الحديث، وقد عرَّفها المعجم الرّوسي بأنّها:«**منهج فني يتمثل جوهره في الانعكاس الصّادق المحدد تاريخيًا للواقع في تطوّره الثّوري**»[3].

و**الواقع أنّ « مصطلح الواقعيّة الاشّتراكيّة، جاء تتويجًا لممارسات عديدة، وتطويرًا لمفهوم ربط الأدب بنظريّة التّغيير الاجتماعي، وقد دخل الأدب عام 1934م. حيث صادق**

---

[1] – الجمعي بن حركات: التّشكيل الفنّي والرّؤيّة الواقعيّة في الكتابة الروائيّة عند طاهر وطار، مرجع سابق، ص 270.

[2] – عبد الله أبو هيف: النّقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرّواية والسّرد، مرجع سابق، ص 56.

[3] – الجمعي بن حركات: التّشكيل الفنّي والرُّؤيّة الواقعيّة في الكتابة الروائيّة عند طاهر وطار، مرجع سابق، ص 263.

عليه المؤتمر الأول للكتاب السوفييين. كمذهب أدبي ينبغي استيحاؤه (...)، وسرعان ما اكتسحت السّاحة الأدبيّة مفاهيم (الأدب الملتزم) و(البطل الإيجابي)، و(التّفاؤل)(...) وغطَّت جميع الأجناس الأدبيّة »[1]. فقد وضع **مكسيم غوركي** مصطلح الواقعيّة الاشتراكيّة لتمييز هذا الاتجاه الأدبي عن الاتجاهات الواقعيّة الأخرى، ولا سيما الواقعيّة الانتقاديّة والطّبيعيّة، والواقعيّة الاشتراكيّة حصيلة النّظرة الماركسيّة إلى الفن والأدب، كما هي حصيلة التّجربة الأدبيّة المعاصرة لكُتاب الاتحاد السوفياتي، والبلدان الاشّتراكيّة الأخرى.والموقف المشترك لهؤلاء الكّتاب هو:« **الالتزام بأهداف الطّبقة العاملة والنّضال في سبيل تحقيق الاشتراكيّة»**[2].

يصف الأدب الجيد في نظرهم ما هو موجود، ويعمل على الإصلاح والدّعوة إلى الأفضل لأنه وسيلة من وسائل البناء ؛ لذا فهو يُواجه الواقع بَدل الهروب منه، وهذا كلّه في إطار النّظرة الجماعيّة لا الفرديّة الذاتيّة. والأديب لا يصوِّر الواقع بمختلف تجلِّياته من خوف ومرض، وهزيمة، إنَّما هو عليه أخذها وسيلة لإصلاح الحياة الإنسانيّة في حاضرها ومستقبلها. فيتحول الأديب من ناقل إلى فرد ملتحم معهم كعضو واحد.

كان للواقعيّة الاشتراكيّة إيمان قويّ بانتصار الطّبقة العاملة في العالم كله، وقيام المجتمع الاشتراكي الذي بإمكانه تحقيق السّعادة لجميع أفراده فمن « **واجب الأديب الواقعي أن يكون ذا نظرة متكاملة إلى العالم الذي يحيا في داخله.نظرة تعبّر عن فهم مترابط لهذا**

[1] – محمد عزّام: فضاء النّص الرّوائي، مرجع سابق، ص 149.

[2] – نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيّة في الشّعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 328، 329.

الكون وأطواره، وبشكل خاص ينبغي أن يتّضح هذا جليًا في فهمه لمجتمعه الخاص وتجاربه معه.»[1]. لأنّ الأديب هو مرآة عاكسة لمجتمعه.

وتسمى الواقعيّة الاشتراكيّة أيضًا بالواقعيّة الجديدة، التي ظهرت في البداية كرد فعل على الرّومانسيّة، والواقعيّة الانتقاديّة المتشائمة، والطّبيعيّة السّطحيّة. وهذا ما أعطى لها سمات وخصائص ثابتة راسخة في الأدب نذكر منها:أنّها تنطلق من الواقع المادي، الأديب طليعة مجتمعه بما أوتي من مؤهلات، ينطلق الفهم العميق للمجتمع من التّحليل الماركسي للصّراع الطّبقي، عدم الاكتفاء بالتّحليل بل لا بد من التّحليل، التّفاؤل، النّموذج البطولي [2]، و« **النّزعة الإنسانيّة،الالتزام، الرّوح الاجتماعيّة، النّزعة التّاريخيّة، النّزعة النّفسانيّة، نموذج التّصوير الأدنى»**[3].

ويعتبر هذا الاتجاه من أكبر الاتجاهات تأثيرًا ؛ لأنها واقعيّة واعية تنظر للإنسان بمنظور يختلف عن سابقيها، فهي تراه كائنا اجتماعيًا متطورًا، وأنَّ تطوره يكمن في تحسين حياته وتحقيق سعادته، فهي لا تنقد الواقع بل تحاول تطويره، وبناءه من جديد.

4 . الواقعيّة النّقديّة والاشتراكية في الجزائر :

يقسم واسيني الأعرج اتجاهات الرّواية الجزائريّة إلى أربعة اتجاهات وهي كالتّالي:

1 . الاتجاه الإصلاحي.
2 . الاتجاه الرّومانسي.
3 . الاتجاه الواقعي النّقدي.

---

[1] – شكري محمد عياد: المذاهب الأدبيّة والنّقديّة عند العرب والغربيين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، (د. ط)، 1993م، ص 24.

[2] – ينظر: عبد الرزّاق الأصفر، المذاهب الأدبيّة لدى الغرب، مرجع سابق، ص 144، 145.

[3]– عبد الله أبو هيف: النّقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، مرجع سابق، ص 56.

4 . الاتجاه الواقعي الاشتراكي.

وما يهم هنا في دراستنا هذه هوالاتجاه الواقعي بنوعيه.و قد أرخ **محمد طمّار** في كتابه **تاريخ الأدب الجزائري** لانبثاق الواقعيّة في الجزائر فلخّصها بقوله:« **واندلعت الثّورة، وأكرهت الأدباء أن يشاركوا في السّياسة مشاركة فعليّة عنيفة.فلم يتخلَّف شاعر أو كاتب، وأصبح الأدباء ألسنة لهذا الشّعب يعبرون عن نفسه أكثر مما يعبرون عن أنفسهم، ويصورون حياته أكثر مما يصورون حياتهم. فأضحوا مرآة الشعب (...). فنلاحظ أنّ أدبنا اليوم واقعي (...)،والأدب متّصل دائما بالحياة الواقعيّة** »[1]فالإنتاج الثّقافي كان له دور فعال جدًا في تقوية والتحام طبقات المجتمع لتحقيق مهمة تاريخيّة هي الثّورة.

ونجد **أبو القاسم سعد الله** كذلك في كتابه **دراسات في الأدب الجزائري الحديث** يقول: بأنّ التّيار الواقعي في الجزائر جاء « **كنتيجة لتطور الحركة الوطنيّة في الجزائر، فبعد تبلور المفاهيم القوميّة في أذهان النّاس، ووضوح المبادئ السّلميّة أو الثّوريّة التي اعتمدت عليها الحركة في خط سيرها المتعرج الطويل** »[2]؛ لذا أصبح من غير المجدي بقاء التّيار التّقليدي، والرّومانتيكي في ظل هذه الظّروف الثّوريّة.كما يضيف أنّ لظهور هذا التّيار فرعان « **فرع اللّغة واضح الأهداف، شديد الارتباط بالشعب، كثير الاعتماد على الجمع بين القديم والحديث، وقد تمثل هذا في الشعر العربي الذي نظم بين 1930م – 1954م. وفرع آخر فرنسي اللّسان،غامض الأهداف، كثير الاعتماد على الحديث.وقد تمثّل هذا في الرّواية والقصة، وبعض الأشعار المستمدّة من صميم الحياة الشعبيّة، وكان ظهوره بين 1946م – 1954م.**»[3]. هذا ويؤكد الدكتور **أبو القاسم سعد الله** أنَّ التّيار الواقعيّ في

[1] – نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية، مرجع سابق، ص 337، 338.

[2] – أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث: دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م، ص 28.

[3]– المرجع نفسه: ص 28.

الجزائر هو بمثابة خلاصة لجميع التّيارات الأدبيّة التي ظهرت فيها. ربما هذا لأنَّ الواقعيّة هي متأصلة في الأدب على مرّ العصور، وفي هذا المجال يقول **جورج لوكاتش** « **كل ألوان الكتابة لابد أن تتضمن قدرًا معينًا من الواقعيّة والواقع أن هناك حقيقة أساسيّة مرهونة بهذا: وهي أنَّ الواقعيّة ليست أسلوبًا واحدًا من بين أساليب أخرى إنَّما أساس الأدب، وكل الأساليب، حتّى تلك الأساليب التي تبدو متعارضة أشد التعارض مع الواقعيّة، تنشأ منها.أو ترتبط بها ارتباطًا له دلالته** »[1].

يعتبر التّيار الواقعيّ النّقدي، والتّيار الواقعيّ الاشتراكي من أكثر التّيارات تأثيرًا في الجزائر ؛ غير أنّ التّيار الواقعيّ يختص بفترة الاحتلال أكثر مع كُتاب الرّواية باللّغة الفرنسيّة الذّين كانوا ينقدون الواقع المزري للشعب الجزائري إبان الاحتلال أمثال:**محمد ديب،كاتب ياسين،مولود معمري،آسيا جبار**، (...) ، وضمنه يدخل كذلك:**الحريق** ل**نور الدين بوجدرة**، و**ريح الجنوب** ل**عبد الحميد بن هدوقة**، **وطيور في الظّهيرة** ل**مرزاق بقطاش**، و**على الدّرب** ل**حاجيمحمد صادق**، و**الطّموح** ل**محمدعرعار**، و**قبل الزّلزال** ل**بوجادي علاوة** (...) وغيرهم كثير. واستمرّ كذلك بعد الاستقلال، والتي فرضت التّحول والنّوعيّة والانتقال للتّعبير عن معاناة وألم شعب عانى ويلات الاستعمار كما نجده عند **محمد بوشحيط** في قوله: « **وبالحصول على الاستقلال تبدأ مرحلة جديدة ونوعيّة، تقضي الانتقال إلى الضّفة الأخرى من النَّهر. لأنّ النّهر عادة له نبع واحد، لكن لديه رواد وجداول عديدة، ترفده وتغنيه. من هذا ظهرت إشكالية كتابة جديدة شكلًا ومضمونًا لتعبّر**

[1] – الجمعي بن حركات: التّشكيل الفنّي والرؤيّة الواقعيّة في الكتابة الرّوائيّة عند طاهر وطار، مرجع سابق، ص 265.

عن عالم جديد »[1].وهل من غير الواقعيّة يكون وسيلة للتّعبير عن تلك المعاناة،وقسوة الحياة اليوميّة برغيفها، وتفاصيلها المختلفة بكل صدق وموضوعيّة.

ويعتبر الطّاهر وطار رائد الواقعيّة الاشتراكيّة بامتياز. فقد مجدها وهو « **يربأنّها ظهرت في الدّيانات السّماويّة في عهد المسيح، إلى عهد الإسلام والتي تبناها "أبو ذر الغفاري". وقد تجسدت عدالتها في الواقع بصورة جليّة منذ القرن 18، 19 على يد مجموعة من المناضلين الذّين تشبّعُوا بالواقعيّة الاشتراكيّة، ومن خلال كشف عن معاناة الفقراء وعبّر بواقعيّة، وصدق عن هذه المعاناة التي عاشها الشّعب الجزائري بصورة عامة منذ الاستعمار** »[2] وهذا ما جسده في رواياته على غرار:**اللاز**، و**العشق والموت في زمن الحراشي**، و**الزلزال**، و**عرس بغل**، و**الحوات والقصر**. وترتكز هذه الأعمال على المعرفة بالتّاريخ في تطوره.ووعي التّطورات والتّغيرات الجارية في المجتمع،بالإضافة للعديد من الرّوايات الأخرى التي لا يسمح المقام بذكرها جميعًا.ومهما اختلف في نشأة ومفهوم الواقعيّة، وأنواعها، وتجلّياتها في النّصوص الأدبيّة، إلّا أنّها تبقى النّاقل الموضوعي الحقيقي للواقع المعاش بجميع تجلّياته، إضافة على أنَّها أنسب التّيارات في تصوير المعاناة الحقيقيّة للإنسان البشري بعيدًا عن تجميله وإخفاء جانبه المنسي.

[1] – عبد الصدوق عبد العزيز:الاتجاهالاجتماعي في النّقد الجزائري الحديث والمعاصر، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة السانيا، وهران، الجزائر، 2010م، 2011م، ص 3، 4.

[2] – الجمعي بن حركات: التّشكيل الفنّي والرّؤيّة الواقعيّة في الكتابة الرّوائيّة عند الطاهر وطار، مرجع سابق، ص 275.

الفصل الأول :

المبحث الأول :

1. مفهوم الصّورة .
2. مفهوم المهمّش .
3. مفاهيم ذات صلة بالتّهميش الاجتماعي.
4. جدل المركز والهامش .

المبحث الثاني :

1. المهمّش من المنظور التاريخي .
2. المهمش من المنظور الاجتماعي .
3. المهمّش من المنظور النّفسي .
4. المهمش من المنظور الأدبي .

المبحث الأول: في مفهوم الصّورة والمهمَّش .

1. مفهوم الصّورة .

1.1. لغة:

وردت كلمة **الصُورَةُ** في القرآن الكريم في عدّةِ آيات منها، قوله تعالى: { **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ** }[1] والتي تعني الشَكلُ والهَيئةُ، فالله عزَّ وجلَّ خلق مخلوقاته في الشَكلِ الذِّي تقتضيه حكمته وإرادته .

وجاء في **لسان العرب**لـ**ابن المنظور**: « **صَوَّرَ: في أسماء الله تعالى: المُصَوِّر وهو صَوَّرَ جَمِيعَ المَوجُودَات ورَتَبَهَا فأَعطَى كل شيء منها صُورَة خاصة وهَيْئة مفردة يتميز بها على اختِلافهاوكُثرتِهَا** .

وقال ابن سيده: الصُورَةُ في الشَكلِ، والجمع. صُوَرٌ وصِوَرٌوصُوِّرٌ. وتَصَوَّرْتُ الشيءَ: توهمتُ صُورَتَه فتصَوَّرَ لي .

وقال ابن الأثير: الصُورَةُ تَرِدُ في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئتِه وعلى معنى صِفَتِه. يقال: صُورَةُ الفِعْلِ كذا وكذَا أيْ هَيْئته، أو صفَته»[2].

وجاء في معجم **مقاييس اللغة**: « **الصُّورَة صُورَة كلّ مخلُوق، والجمع صُوَر، وهي هيْئَةُ خِلقته، والله تعالى البَارِئ المُصَوّر، ويُقال: رَجل صَيّرٌ إذا كان جمِيلالصُورة**»[3].

---

[1] – القرآن الكريم: سورة الانفطار، برواية ورش عن نافع، دار الريادة، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، الآية: 8، ص 587 .

[2] – ابن منظور: لسان العرب، المج: 4، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، مادة (صَ ورَ)، ص 473 .

[3] – أحمد بن فارس بن زكريا الرَّازيّ: مقاييس اللغة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 25 .

إذن ؛ فالصّورة في اللّغةِ لها جانبان يدلّان عليها، الأول: جانب حسّي ويكون في النّوع والشّكل والهيئة، والثاني: جانب ذهني يكون في استحضار صُورَةُ الشّيء في الذِّهن .

2.1. اصطلاحًا:

المعروف عن الصُّورة أنَّها ذلك الشّكل الخارجي المجسّم وكل الأشياء القابلة للرّؤية البصريّة، وهي تعبِّر عن أساسيات النَّص الأدبي، وقد اختلف في وضع تعريف محدد لها بسبب تشعب وجهات النّظر إليها ؛ حيث يُعرِّفها **عبد القاهرالجرجاني** بقوله:« **واعلم أنَّ قولنا الصّورة، إنّها هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقُولنا على الذّي نراه بأبصارنا، فلمّا رأينَا البَيْنُونَة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصُّورة، فكان تَبيُّن إنسانٍ وفرس من فرس، بخصُوصِيّة تكون في صُورة هذا لا تكون في صورة ذلك** »[1] ؛ أي أنَّ الصُّورَة هي ما يتبادر إلى عقولنا على ما تقع عليه أبصارنا ولكل شيء ما يميزه عن غيره، وهي بذلك تكون في معنى ما غير الصّورة في معنى آخر، رغم أنّها تظهر لنا أنّها ممثلة لمعنى واحد .

ويُعرِّف آخر أنَّ مصطلح الصّورة « **يصطنع للدّلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسيّ، وتطلق أحيانًا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات** »[2]،هذا يجعل الصّورة مرتبطةبالجانب الحسّيالّذي غالبًا ما يرتبط بالفنان في لوحته والكاتب من خلال وهو ما نجده كذلك في الدِّراسات الأوروبيّة الغربيّة. فقد عكف الكثير منهم على إعطاء مفاهيم متباينة ومنهم

---

[1] – أبي بكر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، (د. ط)، (لا. ت)، ص 508 .

[2] – نور الدين دحماني: بلاغة الصورة الفنيّة في الخطاب القصصي القرآني، مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء، مخطوط أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر، 2011م، 2012م، ص 64 .

جون بول سارتر* والذّي عرَّفها بأنَّها: « **ذلك التنظيم التركيبي الكلي الوعي، وبذلك يمكن أن ندمج الوعي بالتّفكير بطريقة أو بأخرى** »[1] ؛ فالصّورة بذلك كل معقد يتمازج فيه الشّكل مع المعنى .

وقد تفرعت الصّورة في الكتب الأدبيّة والنّقديّة فنجد الصّورة الشّعريّة، والصّورة الأدبيّة، والصّورة الفنيّة ؛ ومنه: فالصّورة في الشّعر« **هي الشّكل الفني الّذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشّاعر في سياق بياني خاص ليعبِّرعن جانب من جوانب التّجربة الشّعريّة الكاملة في القصيدة، مستخدمًا طاقات اللّغة وإمكانياتها في الدّلالة والتّركيب والإيقاع والحقيقة والمجازوالتّرادف والتّضاد، والمقابلة والتّجانس وغيرها من وسائل التّعبير الفنيّ** .»[2]فالألفاظ والعبارات هما سبيل الشّاعر للوصول بها إلى الصّورة الشّعريّة .

أمّا مصطلح **الصّورة الأدبيّة** فإنّه من جهة يرتبط بالصّورة الفنيّة في ضوء العلاقة بين الجزء والكل حيث ؛ « **تحيل الصّورة الفنيّة على جماليات متعدّدة ذات صلة بسائر الفنون فضلًا عن الأدب كالرسم والموسيقى والنّحت، ومن جهة أخرى فهو توصيف يتراءى لنا أعمّ من الصّورة الشّعريّة، ذلك أنَّه لا يقتصر على الشّعر فحسب، وإنّما يتعدّاه إلى كلّ ما**

---

* جون بول سارتر Jean paulsertre (1905م – 1980م)، كان كاتبًا مسرحيًا وفيلسوفًا وناشطًا سياسيًا فرنسيًا مشهورًا، أثر في المجالات المعرفية مثل: علم الاجتماع والدراسات الأدبيّة. كان شخصيّة بارزة في الفلسفة الوجوديّة والفلسفة الظواهريّة، بالرغم أنه حاز على جائزة نوبل في الأدب عام 1964م إلا أنّه رفضها، حيث قال بهذا الشأن أن الكاتب لا يجب أن يصبح مؤسسة. ينظر: من هو جان بول سارتر؟ نشر بتاريخ: 2018/02/17م ،https://www.arageek.com، اطلع عليه: 2019/02/12م، الساعة: 23:05 .

[1] – سامية سعدي: صورة المرأة ودلالتها في الأمثال الشعبية . مدينة تبسة وضواحيها . نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة تبسة، الجزائر، 2007م، ص 30.

[2] – محمد الولي: الصّورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنّقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص 19.

له صلة بالأدب »[1]. ومن هذا المنطلق فالصّورة كشفٌ نفسي بمساعدة شيء آخر يكون كأداة للمبدع أو الفنان لإيصاله للمتلقي .

أمّا الصّورة الأدبيّة الّتي تهمنا في بحثنا هذا هي الّتي تُعنى بنظرة الأنا للآخر أو هي علم دراسة الصّورة الأدبيّة أو (الصورلوجيا:)imagologie.و هذا ما فصّلت فيه الكاتبة **ماجدة حمود** في كتابها **مقاربات تطبيقيّةفي الأدب المقارن** ؛ وبما أنَّ الأديب يعيش في مجتمعه ويحتك به فيتآلف معه، هو ما يؤدي به لاكتساب خبرات عميقة تساعده على سبر أغوار أنفسهم، وهذا ما يُمكِّنه من خلق صورة للأنا والآخر، فالمعرفة « **العميقةوالشّاملة بالمجتمع الّذي يصوره الأديب تجعل الصّورة الّتي يرسمها في أدبه غنيّة ودقيقة وتفصيليّة خلافًا لصورة يقدمها أديب شعب أجنبي لا يعرفه حق المعرفة**»[2]فالأديب أدرى بحال مجتمعه؛ بضعفهم وقوّتهم بيده تكون صورة مجتمعه سلبيّة أو إيجابيّة وهدفه في ذلك التّغيير.

لا تكون المعرفة المباشرة عن بلدٍ ما مصدرًا من مصادر الصّورة عنه، فللأديب دورٌ فعال في نقل هذه الصّورة وفي هذا يجب عليه تتبع مسارها التّاريخي، لأنَّ الصّورة ستنتقل من عنصر خرافي إلى مرآة تعكس تاريخ المعايير الاجتماعيّة . النّفسيّة، في تصوُّرِ الأنا.

من العناصر المكوِّنة للصّورة « **تلك العناصر التي تتكثف فيها تعبيرات الآخر والسِّمات والحركة والحديث والعلاقات الاجتماعية والعناصر التي تتعدّى التعريف البسيط حاملة دلالة خاصة ضمن آليّة النص** »[3]. فكل هذا يقدِّم صورة شبه متكاملة عن الآخر إضافة إلى أنَّ التّناقضات لها دور جليّ في تقديم وترسيخ الصّورة .

---

[1] - نور الدّين دحماني: بلاغة الصّورة الفنيّة في الخطاب القصصي القرآني، مرجع سابق، ص 67، 68 .

[2] – ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د. ط)، 2000م، ص 111 .

[3] – المرجع نفسه: ص 117.

تفيد دراسة الصّورة الأدبيّة للآخر « **في توسيع أفق الكتابة والتّفكير والحلم بصورة مختلفة. إنّها إغناء للشّخصيّة الفرديّة من جهة والتّعرف الذّاتي من جهة أخرى، هذا على المستوى الفردي. أما على المستوى الجماعي فتفيد في تصريف الإنفعالات المكبوتة تجاه الآخر أو في التعويض، وتسويغ أوهام المجتمع الكامنة في أعماقه. كذلك تبيِّن الصّورة المغلوطة المكنونة عن الشعوب .**»[1]

تقديم الأديب للصّورة تساعد في إزالة الالتباس، وسوء التّفاهم بين الأنا والآخر. فمثلًا: الصّحافة والإعلام تُقدم في معظم الأوقات صورة مغلوطة عن الشعوب الإفريقيّة خاصة منهم المهاجرين غير الشّرعيين بوصفهم بأقبح وأرذل الصّفات لسلوكات تصدر منهم دون بحثهم عن معرفة أسبابها. وهذا ما سنتطرق له بالتّفصيل ـ إن شاء الله ـ في موضع آخر من بحثنا هذا.

[1] – المرجع نفسه: ص 114.

2 . مفهوم المهمّش :

1.2 . تعريفه:

1.1.2 . لغة :

جاء في لسان العرب: « **هَمَّشَ: الهَمْشَةُ: الكَلامُ والحَركةُ، هَمَشَ وهَمِشَ القومُ فهميَهْمَشُون ويَهْمِشُون وتَهَامَشُوا. وامرأَة هَمْشَى الحديث، بالتّحريك: تُكْثِرُ الكلامَوتُجَلِّبُ. ويقول ابن الأعرابي:**

الهَمْشُ والهَمَشُ كثرةُ الكلام والخَطَل في غير صواب ؛ وأنشد: وهَمِشُوا بكَلِمٍ غير حَسَنْ.

قال الأزهري: وأنشدَنِيه المنذريُّ وهَمَشُوا، بفتح الميم، ذكره عن أبي الهيثم. واهْتَمَشَت الدَابَةُ إِذَا دبَّت دَبِيبًا .»[1]

بمعنى أنَّ المُهَمَّش هو كثيرُ الحركةِ والكلامِ، ومثال ذلك المرأة الكثيرةُ الكلامِ من دونِ فائدةٍ وفي غير صوابٍ وحُسنٍ .

ويُضيف صاحب **المعجم الوسيط:** « **(هَمَّشَ) الكتابَ: علق على هامشه ما يعنُّ له. و(الهَامِشُ): حاشية الكتاب. وفُلان يعيش على الهامش: لم يدخُل في زحمة النّاس.** »[2]وهو ما نجده عند **الفيروز أبادي** في قوله: « **الهَامِشُ: حاشية الكِتاب، مُوَلَّدٌ .**»[1] ويقصد بحاشية الكتاب الكلام الخارج عن المتن .

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، المج: 6، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، مادة (هـ م ش)، ص 365.

[2] – إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، دار الدعوة، استانبول، تركيا، (د. ط)، (لا. ت)، مادة (هَ مَ شَ)، ص 994.

ومنه؛ نجد أنَّ الهامشَ يتسمُ بالحركة، والفوضى، والاختلاط، واللامركزية، عكس المركز الذّي يتسم بالثّبوت .

أمَّا في اللّغة الفرنسيّة والإنجليزيّة فإنَّ مصطلح (**Marginalisation**) تشتق من الفعل (**Marginaliser**) والّذي يعني حمل فرد/ جماعة أو بلد أو إقليم أو قارة أو طبقة أو شريحة أو فئة اجتماعية (النساء، الشباب، العاطلون عن العمل، كبار السن، المرضى، المنحرفون ...) لكي يكونوا خارج الاهتمامات العامة، والإذعان للسلطات دون استفهام، وفي مثل هذه الحالات فإنَّ التّهميش يقصد به « **أولئك الأفراد أو الجماعات الذين يعيشون في فضاءات معينة وفي ظلِّ ظروف تاريخيّة محدَّدة غير القادرين عن التَّكيف مع البيئة الثَّقافيّة، والاجتماعيّة والبيئة الطَّبيعيّة على، حدٍ سواء، ويدخلون ضمن خانة الهامشيّة الاجتماعيةMarginalisation sociale لأنّهم مقصوون عمدًا من معظم النّواحي الاجتماعيّة والإقتصاديّة والسِّياسيّة وحتى الحيزيّة Espace أو ما يطلق عليه تحديدا بالأطراف Péripherie. وبذلك يشكِّلون كمًّا بشريًا مهملًا في منطقة ما .**»[2]

إذن فكلمة تهميش أو إقصاء أو فقر أو هامش لهم المعنى نفسه، وهو المنسي، والمضطهد، والملغي، واللامركز، سواء عند العرب أو عند الغرب .

2.1.2 . اصطلاحًا:

[1] – الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1990م، مادة (هَ مَ شَ)، ص 549.

[2] – سميرة قوندي: مفهوم التّهميش الاجتماعي في المجتمع الجزائري . إشكالية نظرية . مجلة التّواصل في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ع: 47، سبتمبر، 2016م، ص 179، 180 .

ظاهرة التّهميش معروفة منذ أن خلق الإنسان، ولكن مفهوم الهامشيّة لم يواكب قدم الظَّاهرة في تاريخها، وقد اختلف الباحثون في وضع مفهوم شامل ودقيق للظّاهرة؛وذلك راجع إلى أنَّ مصطلح الهامش والمُهمَّش يشمل العديد من المجالات السِّياسيّة، والاجتماعيّة، والثّقافيّة، وحتى الأخلاقيّة.

وقد تعرض الناقد **مجدي توفيق** لمفهوم المهمشين واعتبرهم « **الفئة أو الجماعة التي تقف خارج العمليّة الإنتاجيّة للمجتمع سواء كان ابتعادها لأسباب عرقيّة أو جغرافيّة أو اقتصاديّة** »[1]، كما تقوم تصورات مفهوم الهامش « **في كل عناصرها على علاقات تحكمها ضوابط اجتماعية نفسيّة إيديولوجيّة تتأسس على الدُّونيّة وعقدة التّفوق، الإقصاء والتّمييز الصّدارة والتّبعيّة ويمكن أن تتمدّد مثل هذه التّصنيفات إلى عناصر لا متناهية إذا احتكمنا إلى هذه المعايير، وعلى سبيل المثال فالهامشيّة بين المنحرف والمتشرد من النّاحيّة القانونيّة، وبين المجنون والمدمن من النّاحية الصّحية، وبين الأميوالمهاجر من النّاحيّة الثقافيّة، وبين الفقير جدًا والعاطل من النّاحيّة الاجتماعيّةوالاقتصاديّة** »[2].

المُهمَّش هو كل إنسان محروم من حقوقه الطّبيعيّة الّتي يجب أن يتمتع بها كل شخص حر ؛ من صحة، وتعليم، وأكل، وشرب، وأمان، ووئام، وحرية.

بالإضافة إلى أنَّ مفهوم الهامشيَّة يشير في كثير من الأحيان إلى ظاهرة الصِّراع الثّقافي في دول الغرب « **فقد استخدم هذا المفهوم في الدِّراسات التي أجريت على العالم الثالث لتوصيف عدد من الظواهر المتداخلة منها: القطاع السكاني الهامشي، المهن**

[1] – أحلام بن شيخ: الواقعيّة وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والنقدي، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع: 14 جوان 2018م، ص 29 .

[2] – جمال مجناح: جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمشين . قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجازرة، جامعة مسيلة، الجزائر، 2017م، ص 2 .

الهامشيّة، الثّقافة الهامشيّة، المنطقة الجغرافيّة الهامشيّة.»[1]فكلمة الهامشيّة لصيقة بالعالم الثالثلأنّه يعاني الكثير من المشاكل في جميع القطاعات التي أدت به لأن يكون دائمًا في المراتب الدّونيّة مقارنة بنظيره الغربي.

وبما أنَّ المفهوم اللّغوي المذكور سابقًا دلَّ على أنَّ الهامش والمُهمَّش يشتركان كلاهما في الغياب، والنِّسيان، واللامركزيّة ؛ فتعريف الهامش هو تعريف للمُهمَّش « **فالهامش . حسب جيرار جنيت* في العتبات النّصيّة . حالة نصيّة طباعيّة إحاليةومرجعية ترتبط بكلمة أو عبارة أو فقرة أو مقطع بطريقة محدّدة أو غير محدّدة، فقد يكون الإهداء الذي يكتبه الكاتب في بداية النّص، والذي قد يراه القارئ هامشًا لا يؤثر كثيرًا في النَّسق الدَّلالي للمتن، قد يكون الإهداء هو مدخل مهم لقراءة النص، وهامش موازٍ للنّص المركزي** »[2]، فيتحوَّل الهامش إلى مركز والعكس صحيح. ومن هنا يتضح أن مكانة الهامش أدبيًّا هي المعادل الموضوعي للمهمّش اجتماعيًا، وهذا التَّداخل في مفهوم الهامش ما أدى إلى اتساع مجالاته ليشمل كل أنواع المقصيِّين والمنبوذين، سواء من قبل فرد أو جماعة ككل، كالسود

---

[1] – هناء محمود شكري: المهمشون " كارثة عمرانية بيئية ...مؤجلة "، ينظر: مقال نشر في: أفريل 2011م، https://www.researchgate.net/publication/321579338، اطلع عليه: 2019/02/13م، الساعة: 15:05 .

* جيرار جنيتGenette Gérard (1930م – 2018م): وُلد في باريس أحد أقطاب النقد الأدبي، والشعريّة في فرنسا انخرط في تيار النقد الجديد، عُرف باشتغاله منذ الستينيات على الأجناس الفنيّة والشفرات الأدبيّة، أستاذ مبرز في الآداب (...) ألف مجموعة من الكتب في سلسلة poétigue والجمالية وعلم السرد (...) أحد أبرز الممثلين لنظرية الأشكال الأدبية، وفيما بعد أخذت أعماله وجهة أخرى نحو الجماليّة الفلسفية وانطولوجيا العمل الفني. من بين كتبه: Seuil , Fiction la à ligure la de , Métalepse من الصورة البلاغية إلى التخييل، ينظر: سعيد بن الهاني: حوار مع جيرار جنيت أجراه جون بيي، نشر بتاريخ: 2015/05/10م، www.Fikrmag.com، اطلع عليه: 2019/02/13م، الساعة: 19:44 .

1–هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2015م، ص 41، 42 .

والفقراء والمشرَّدين وغيرهم كثير ؛ لذا نرى أنّ هناك كلمات بمجرد ذكرها يخطر في ذهننا المُهمَّش مثل: مصطلح الآخر. لنقول السوء بالنِّسبة للبيض، والفقير آخر بالنسبةللغني (...)، فيكون الغني والمُهمِّش، والفقير هو المُهمَّش.

فالهامش أو المُهمَّش له الكثير من المرادفات، وذلك لتوسع مجالات اشتغاله(سواء اجتماعيًا أو أدبيًا) خاصة أنّ المهمِّش يعمل دائمًا على نبذه وطرده، وإبقائِه في مكانهِ القصي غير أنَّ المُهمَّش يعمل على ردِّاعتباره وأخذ مكان له في المركز أو المتن. وسنتطرق في المحطات الآتية من بحثنا في التَّفريق بين المهمَّش اجتماعيًا والمهمَّش أو الهامش أدبيًّا .

2.2 مفاهيم ذات صلة بالتّهميش الاجتماعي:

للتهميش مفاهيم عدّة، أو مصطلحات كثيرة متداخلة ومتشابكة، نذكر منه على سبيل المثال لا الحصر:

2. 2. 1الاستبعاد الاجتماعي :

1.1.2.2 تعريفه:

يعرفه **محمد الجوهري** في كتابه **الاستبعاد الاجتماعي** فيقول: « **موضوع الاستبعادالاجتماعي، الذي هو نقيض الاندماج أوالاستيعاب، موضوع حيوي وكاشف لطبيعة البّنيّة الاجتماعية في أي مجتمع، فالاستبعاد ليس أمرًا شخصيًّا، ولا راجعًا إلى تدني القدرات الفرديّة فقط بقدر ما هو حصاد بنيّة اجتماعيّة ورؤى محدّدة ومؤشر في أداء هذه البنية لوظائفها، وهو ليس موقفًا سياسيًا فقط، ولا طبقيًّا، ولكنه نتاج كل ذلك** »[1]. كما يضيف الجوهري أنّ اللامساواة هي الاستبعاد أو الحرمان أو الإقصاء من المشاركة السياسيّة والاجتماعيّة. وبهذا يكون الاستبعاد الاجتماعي أو التَّهميش هو ما يُظهر أو يَكشف طبيعة بناء العقد الاجتماعي القائم عليه المجتمع، بسلبياتهوإيجابياته، وبذلك القوانين السائدة

[1] – هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافيّة، مرجع سابق، ص 91.

التي تعمل على المساواة بين جميع المواطنين مهما اختلفت مذاهبهم وأفكارهم الإيديولوجيّة ومنابتهم الطّبقيّة. وحتى ذوي الاحتياجات الخاصة. وهذه الأخيرة تعدُّ أهم فئة تعاني من الاستبعاد أو التَّهميش الاجتماعي. كما يضيف **جونهيلزHillsJihn Robert**، والباحثون معه نوع آخر من الاستبعاد وهو« **الاستبعاد الإداري الذي تختاره شريحة ما من شرائح المجتمع، وغالبًا تكون من النّخبة ومن الطّبقات العليا في المجتمع، فهم يختارون أن يعيشوا في تجمعات على أطراف المدن بغرض أن يُهيِّئوا لأنفسهم حياة مختلفة، يحظون فيها بمستوى معيشة مختلفة عنالعامة وبقيّة الطّبقات الدنيا** »[1]. تحظى هذه الطّبقة بامتيازات عديدة على مختلف الأصعدة، والتّعليم، والنّظافة، والهدوء، والأمن (...) بينما تبقى الطّبقة الدّنيا في فقرها وهامشيتها وعدم تفاعلها مع مختلف النّشاطات الاجتماعية والسِّياسيّة.

ظهر مفهوم الاستبعاد الاجتماعي« **في دراسات الفقر للاتحاد الأوروبي في ثمانينات القرن العشرين ؛ حيث كان في اللّغة الفرنسيّة (Exclusion Sociale)،وباللّغة الإنجليزيّة (Social Excelesion). وقد استخدمتا كبديللمفاهيم الفقروالحرمان وقد كان يشير في السّياسة الفرنسيّة إلى أصناف من النّاس الّذين استبعدوا من الضّمان الاجتماعي في فرنسا** .»[2]يدّل هذا على أنَّ الاستبعاد الاجتماعي متعدد الوجوه أو الجوانب،وذلك لتنوع البيئات والأنظمة، وبذلك ينطوي تعريف الاستبعاد الاجتماعي على ثلاثة عناصر: [3]

أولًا: أنَّ الاستبعاد يشير إلى الأفراد والشرائح والجماعات.

---

[1] – هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص 93.

[2] – حوراء محمد علي قاسم: الاستبعاد الاجتماعي وعلاقته بسلوك الاحتجاج (رؤية نظرية)، مجلة الفلسفة، الجامعة المستنصرية، العراق، الع: 14، 2016م، ص 135.

[3] – هدى أحمد أحمد الديب، محمود عبد العليم محمد سليمان: مخاطر الاستبعاد الاجتماعي على الدولة والمجتمع تحليل سيسيولوجي، مجلة الدّراسات و البحوث الاجتماعية ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، الجزائر ، الع : 13 ، 14 ، ديسمبر ، 2015م ، ص 58.

ثانيًا: إنّه يجسد الحرمان القائم في المجتمع.

ثالثًا: إنّه يتأسس على العلاقات الاجتماعية الموجودة .

فنلاحظ مما سبق: أنَّ كلمة الاستبعاد مرادفة للتَّهميش، فكلاهما يدلَّان على موضوع واحد، وهو عدم القدرة على الاندماج في المجتمع، وبذلك عدم القدرة على المشاركة في الإنتاج والاستهلاك، والعمل السياسي والمشاركة في الإدارة والتّفاعل الاجتماعي(...).

2.1.2.2 **. أنواع الاستبعاد الاجتماعي:** يوجد نوعان للاستبعاد الاجتماعي: [1]

1. **الاستبعاد القسري: و**هو النّوع الأكثر انتشارًا والأكثر حظًا من الدّراسة، وهو يركز على استبعاد الطّبقات الفقيرة، والمحرومة، والطّبقات المُهمَّشة بمعناها الواسع، فالمستبعدون جبريًا أجبرتهم الظُروف أو العوامل الاقتصاديّة أو الاجتماعية على ذلك، وهم يعانون حرمانًا اقتصاديًا، وإقصاءًااجتماعيًا يظهر في المسكن، والمأكل، والملبس، والعلاقات الاجتماعيّة،و الخدمات المؤسساتيّة .
2. **الاستبعاد الطّوعي: و**هو استبعاد الأغنياء أنفسهم من الحياة العامة لأنّهم يملكون رأس المال الكافي، الّذي يضمن لهم العيش في رفاهيّة، فلهم مؤسساتهم التّربويّة والتّعليميّة الخاصة، من دور الحضانة إلى الجامعات الخاصة، وما إلى ذلك من مستشفيات ووسائل النّقل والمواصلات، أي أنّهم يعيشون في مجتمعات خاصة بهم، لا يسمح لعامة الشّعب أن يتغلغلوا بداخلها، فلهم حياتهم الخاصة ونظامهم الخاص وعلاقات اجتماعيّة خاصة .

2.2.2 الفقر:

1.2.2.2 تعريفه:

[1] – حوراء محمد علي قاسم: الاستبعاد الاجتماعي وعلاقته بسلوك الاحتجاج، مرجع سابق، ص 138.

1.1.2.2.2 لغة:

جاء في **لسان العرب:**« **الفَقْرُ: والفُقْرُ: ضد الغِنى (...). قال ابن الأعرابي: الفَقِيرُ الذي لا شيء له، قال: والمِسْكِينُ مِثْلُهُ. والفَقْرُ: الحَاجَةُ، وفعله الإفْتِقَارُ، والنَعتُ فَقِيرٌ. وفي التنزيل العزيز: إنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفُقَرَاءِوالمَسَاكِين، (...)، والفَقِيرُ عند العرب المُحْتَاجُ.**»[1] وجاء في**القاموس المحيط:**« (الفَقْرُ): العَوَزُوالحَاجَة. و(الفَقِيرُ): المكسُورُوالفَقَارِ (...)ومن النَّاس: مَن لَا يَمْلِكُ إلَّا أَقَلَّ القُوتِ. والوَاحِدُ ممن يُسَمُّونَ بالدَّرَاوِيش. (ج) فُقراء، وفُقُرٌ. »[2].**

ومنه: يتبيَّن أنَّ مفهوم الفقر يتمحور حول: الحاجة، والانكسار، والضّعف، والعوز، والاضطراب، وأنَّه عكسُ الغِنَى.

2.1.2.2.2اصطلاحًا:

الفقر ظاهرة اجتماعيّة معروفة منذ القديم، وفي جميع الحضرات والبلدان، مهما بلغت من رُقي أو تخلُّف، وهو « **الحالة الّتي يستحيل عندها الاستجابة للحاجات الأساسيّة للفرد لكي يبقى على قيد الحياة .**»[3]. وربط ظاهرة الفقر بالعوامل المؤدِّية إليه من حيث أنَّها عمليات استبعاد اجتماعي تحول دون الوصول إلى الأصول الطَّبيعيّة والبشريّةوالاجتماعيّة. ونعني بالأصول جميع الموارد والعمليات الّتِي يمكن استخدامها للحصول على مصدر دائم للرِّزق ورفع مستوى المعيشة. ومن أكثر تفسيرات الفقر أهميّة وأكثرها راديكاليّة ما ذكره

[1] – ابن منظور: لسان العرب، المج: 4، مادة (ف ق ر)، مرجع سابق، ص 60، 61 .

[2] – إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 697.

[3] – هناء محمود شكري: المهمشون "كارثة عمرانية ...مؤجلة"، مرجع سابق، ص 3 .

كارل ماركس* بأنّ « **الفقر ليس أمرًا طارِئًا، ولا ناتجًا عرضيًا، وإنّما هو جزء من النّسق الاجتماعي الرأسمالي، فهناك قوى اجتماعية مؤثرة لها مصلحة في وجود الفقر.**»[1] وبهذا يكون الفقر قد تزايد بظهور الرّأسماليّة؛إذ أنَّ هذا لا يعني أنَّه مرتبط به فقط بل بكل الأنظمة وأنواع الانتاج بمختلف أشكالها. وكل ماهو مبني على الاستغلال يؤدي حتمًا إلى الفقر .

والمعروف عن الفقر هو عدم القدرة على الحصول على حد أدنى مقبول من الرَّفاه الإنساني؛إذ أنَّ « **تعريف أماريتاسنAmartyasen هو الأكثر شمولًا، إذ أنَّ الفقر باعتقاده يتألف من توليفه من الأفعال والحالات تتفاوت من متغيّرات أوّلية مثل: جودة التَّغذيَة إلى أمور مركّبة مثل: احترام الذات، ومن ثم فإنَّ الفقر لا يعني انخفاض الدخل في حدّ ذاته ولكن عدم وفاء الدّخل بالنّشاطات والتّوظيفات التي تتولّد منها القدرة الإنسانيّة للفرد** »[2]. إذن فالفقر لا يرتبط فقط بمجرَّد عدم القدرة على الحصول على المتطلّبات الأساسيّة بل يتعدى إلى الفقر الرُّوحي .

يؤدي الفقر إلى الكثير من المشاكل، وذلك نتيجة التّفريق وعدم المساواة بين أفراد المجتمع. فمختلف الآفات الاجتماعية التي تنتشر في المجتمعات هو من أولى أسبابها

مثل: الرّشوة، والسّرقة، وانتهاك أعراض الغير، والقتل، والاختلاس (...)، وغيرهم كثير؛ فالفقير أو المُهمَّش قد يقوم بكل تلك الأفعال كرد فعل على نسيانهوتهميشه فينتقم من خلالها

* كارل ماركس Karl Heinrich Marx: (1818م – 1883م) فيلسوف ألماني، سياسي، ومنظر اجتماعي، قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أنَّ نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالميَّة. شكل وقدم ما يدعى اليوم بالاشتراكيّة العلميّة (الشيوعيّة المعاصرة)، ويعتبر من أحد الشّخصيات المفكرة الأكثر تأثيرًا على مر العصور .ينظر: كارل ماركس، المعرفة، https://m.marefa.org، اطلع عليه: 2019/02/18م، الساعة: 18:59.

[1] – هناء محمود شكري: المهمشون "كارثة عمرانية ...مؤجلة"، مرجع سابق، ص 3 .

[2] – سمير التنّير: الفقر والفسادُ في العالم العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص 46.

لرد اعتباره ؛ لذا نجد في كثير من الأحيان يذكر مصطلح الفقر بدل التَّهميش لأنَّ كلاهما لهما المعنى نفسه .

3.2.2 . الإقصاء :

شعور الفرد بأنّه مهمّش ولا يلقى الاهتمام ممن يحيطون به سواء على الصّعيد العائلي أو المجتمع أو حتّى العالمي له آثار جِد سلبيّة على مسار حياته ؛ أو بعبارة أخرى ما يطلق على هذه الحالة من الإهمال بالإقصاء. وهذا الأخير يفيد أيضًا الحرمان جزئيًّا أو كليًّا ؛ فمثلًا: الطالب محروم من امتحان في مادة ما إذا تغيب عن حضورها أكثر من (5) مرات دون مبرر في مادة أساسيّة ذلك يجعله مقصيًا. ويترتب عنه إعادة السّنة كعقوبة له حسب قوانين الجامعة الجزائريّة .

ويُعرَّف الإقصاء «**بأنّه العمليّة الاجتماعية التي يتم بها تهميش الأفراد . وبخاصةتهميش جماعة ما في مجتمع أكبر. كإقصاء الطّبقة الدنيا مثلًا** .»[1]الّتي تضم النِّساء، والعجزة، والشَّباب، والبّطالين، وساكني البيوت القصديريّة، والمتخلِّفين عقليًا (...) إلى آخره من الفئات المستضعفة التي تعاني من الإجحاف في عدم القدرة على الحصول على أبسط حقوقهم من رعاية صحيّة وتعليم .

كما يصف المصطلح كذلك عادة على « **أفعال المجتمعات البشريّة أو ميولهم الصريحة في التَّخلص من غير المرغوب بهم أو الّذين تراهم بلا منفعة، أو استثنائهم (تهميشهم) من أنظمة الحماية والتَّفاعل السائدة في المجتمع، ومن ثم تقليص فرصهم ومواردهم الماليّة التي تعينهم على البقاء** »[2] وقد تعدد مظاهر الإقصاء تبعًا لمستوى نمو

---

[1] – ينظر: أديتا أنوبكومار: مفهوم الإقصاء، تر: بثينة إبراهيم، موقع حكمة، نشر بتاريخ: 2016/06/14م، https://www.hekmah.org، اطلع عليه:2019/02/25م، الساعة: 17:15 .

[2] – المرجع نفسه .

المجتمع سواء من الجانب السِّياسي والاجتماعي والاقتصادي، وحتّى على المستوى العائلي. فهذا الأخير أغلب أضراره تنعكس على تدهور الحالة النفسيّة للفرد .

يُصنف المهمَّشون في العالم الثالث بأنَّهم أكثر ظهورًا من العالم المتقدِّم، وذلك راجع لطبيعة البيئة. فمثلًا: في إفريقيا الأفراد يهمَّشون إجباريًا ؛ وذلك راجع للظروف المحيطة بهم من فقر، وجوع، وأمراض، وأوبئة، وحروب (...) على عكس أفراد العالم المتقدم الذّين تتوفر لهم كل وسائل الحماية .

وتعتبر النَّظريّة **الداروينيّة الاجتماعيَّة**، وما أنبثق منها من مصطلحات منها **تحسين النسل**، الّذي أُطلق على جملة من الأفكار العلميّة التي تؤيد إقصاء الأفراد(قتلا أو إجهاضًا). وذلك بإقصاء أي طرف لا يرى فيه الكفاءة، بداية من ألمانيا مع **أدولف هيتلر Adolf Hitler(1889م . 1945م)**، وتجاربه المتطرِّفة الوحشيَّة(تعقيم مئات الآلاف الّذين وجد أنّهم غير صالحين عقليًّا) للبحث عن عرق صافٍ، وكذلك قوانين الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة للزواج بمعايير جينيّة، بحيث حُرِمَت المصابين بالصَّرع أو العته أو الضُّعف الذِّهني من الزواج. وكذلك قانونُ **تسجيلالمهاجرين**، لإيقاف تدفق العرقالوضيع[1]. فهذه من أبشع الجرائم التي أرتبكت في حق الإنسانيّة ؛ فالإنسان يجب أن يعيش حرًّا، كما خُلق، وبذلك مسؤولية إنتاجه تكون بمحض إرادته.

ونظرًا لأهمية مصطلح الإقصاء، فقد ظهرت ثلاث نظريات أساسيّة تمَّ تطويرها في المجتمعاتالمعاصرة:«**نظريةفقدانالاعتبارالاجتماعي(Disqualification Sociale) التي طورها"سيرج بوغامSerge paugam"1991م، نظرية التّفكك الاجتماعي(Désinsertion Sociale) التي وضعها كل من "دوغو لجاك Degaulejac"و"تابواداTaboada"(1994م).وأخيرًانظرية**

[1] – ينظر : أديتا أنوبكومار ، مفهوم الإقصاء ، تر : بثينة إبراهيم ، مرجع سابق .

اللاانتسابالاجتماعي(Désaffiliation Sociale)"لروبرت كاستلRibert castel" **(1995).** »[1] استخدم الباحثون هذه المفاهيم للدّلالة على **الإقصاء الاجتماعي** والتي تشير في مجملها إلى الضّعف التّدريجي لعلاقة الأفراد مع مختلف الجماعات الاجتماعيّة التي ينتمون إليها. نتيجة لوضعياتهم الاجتماعيّة والمهنيّة غير الآمنة، وغير المستقرّة فمثلًا يقصد بِ:

. نظريّة فقدان الاعتبار الاجتماعي: دراسة الوضعيّة الاجتماعيّة للفقراء الجدد أو بالأحرى سيرورة البناء الاجتماعي لهذه الوضعيَّة (...)، وقد حدد بوغام ثلاث (3) فئات من الأفراد المقصيينا جتماعيًا: [2]

1. فئة الضعفاء (Les Fragiles): وهي الفئة التي تعاني من مشاكل ذات طبيعة اقتصاديّة نتيجة لكون مداخيل الأفراد المنتمين لها غير مضمونة، وغير منتظمة، إمَّا لأنَّهم دون عمل (البطالة)، أو لارتباط وضعياتهم المهنيَّة بوضعيات تنظيميَّة غير مستقرة مثل: العمل بصيغة النُّقود المحدودة المدَّة، العمل بالدَّوام الجزئي.

2. فئة المساعدين أو المتكفَّل بهم (Les assistés): تتميز هذه الفئة بارتباط مداخيلها بالمساعدات الاجتماعيَّة المنتظمة، سواء بسبب الإعاقة الجسديّة أو العقليّة، أو بسبب بعض العراقيل والصعوبات والمشاكل الاجتماعيّة التي تعترض حياتهم بشكل عام.

3. فئة الهامشيين (Les marginaux): وهم الذِّين لا يتمتعون بمداخيل ثابتة؛ حيث أن هؤلاء الأفراد مجردين من أي مكانة أو سلطة. كما أنّهم لا يستفيدون من صيغ المساعدة

[1] – العربي حيران وطارق تواتي: ملتقى تحولات منظومة العمل وتشكيل الهوية المهنية بين بواعث الاندماج والإقصاء، مقاربة سوسيولوجية لمنظور أزمة الهوية المهنيّة لكلود دوبار، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، (لا ت)، ص 680.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 680، 682 .

الاجتماعيّة للدَّولة. بل غالبا ما يتمُّ التَّكفل بهم من قبل منظمات المجتمع المدني كالجمعيات الخيريّة .

4.2.2 . الحرمان: Déprivation

لا يقصد بالحرمان، الحرمان المادي فقط ؛ أي عدم القدرة على الحصول على الحاجات الأساسيّة، بل يقصد به المساس بأي حق من حقوق أي إنسان مثل: الحق في الرِّعاية الصحيّة، والتَّعليم، والمشاركة، وإبداء الرأي، والتَّغيير، وكذلك الحرمان في امتلاك ما يساعد على توفير الظُّروف المناسبة لحياة كريمة. عرَّف **جوردون مارشال .J Marshall**الحرمان بأنَّه: « **الحرمان من الشيء أو حالة التَّجريد من الشيء** »[1]أي أنَّ الشَّخص المحروم من أي شيء هو المجرَّد منه. وكلمة تجريد مشتقة من الفعل "جَرَّدَ" أي "استَلَبَ"و"فَقر". والحِرمان أوسع نطاقًا من الفقر. بالإضافة أنَّ الحرمان يعني عدم القدرة على الانخراط في المجتمع بكامله.

5.2.2 . العزلة الاجتماعيّة:

عندما لا يستطيع إقامة علاقة طبيعيّة مع المجتمع لأسباب ؛ قد تكون لعدم تَقَبُلِه لقوانين، وعادات وتقاليد المجتمع التي ينتمي إليه، وبالمقابل لا يكون له حق إبداء رأيه في الرَّفض والتَّغيير ما يؤدي به إلى الاغتراب والعزلة الاجتماعيّة. فمنها ما تكون إجباريّة في حين أنَّ أغلبها تكون ناتجة عن إرادة الفرد، « **فالعزلة هي إحدى الظّواهر التّي يبتعد الأفراد بها عن المحيط الخارجي، وعدم الرغبَّة في الاختلاط مع الآخرين وتكوين عالم داخلي لهم**

[1] – جوردون مارشال: موسوعة علم الإجتماع، المج: 2، تر: محمد الجوهري وأحمد زايد وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2000م، ص 647.

بدلًا من عالم أكبر من عالمهم أو دائرة أكبر من الدَّائرة الفرديّة التي يعيشون فيها. »[1]ما يجعل من العزلة وسيلة للهروب من المواقف الإحباطيّة التّي قد تواجهه في كل وقت، وهذا ما يُسيئ للإنسان. الذي يجب أن يتحلى بالشَّجاعة والصبر عند الشَّدائد، وبذلك تحسين علاقته بالمجتمع.

ويُعرِّف **جيرسون وبيرلمان (Gerson &perlman ,1979)** العزلة بأنّها:« **عجز الفرد عن بناء علاقات اجتماعيّة مصحوبًا بإحساس مزعج بعدم الارتياح** »[2]. فشعور الفرد بالغربة، والوحدانيّة، والكره، وعدم الانتماء هو ما يؤدي به لفقدان الإحساس بالقربة، والمحبَّة، والتَّودد، وتقبل الآخرين ؛ أي أنَّ هذا « **السُّلوك لدى الفرد يتَّسِم بضعفٍ أو عدم إقامة علاقات اجتماعيّة أو بناء صداقة مع الآخرين والتَّفاعل معهم إلى حد كراهيَّة الاتصال بالآخرين وعدم التَّوافق معهم، والإبتعاد عن معايشة واقع البيئة المحيطة وعدم الاكتراث لما يحدث فيها** »[3]نتيجة الكره أو الخوف ؛ فالعزلة كذلك تعني الخوف الذي يؤدي بدوره إلى حالة من القلق، والغموض الذِّي يسيطر على عقل المعزول. فعدم الانتماء الفعلي في المحيط يجبر الفرد على ممارسة سلوك العزلةوالانطواء.

ومن أهم الأسباب المتحكِّمة في انتهاج سلوك العزلة هي الأسرة أو الوالدان بالتَّحديدِ، فالتَّربيّة المبنيّة على التَّفاهم، وحرية الرَّأي، وبذلك إعطاء مساحة كافيَّة للتَّعبير، والتَّواصل، والتَّحرك. هو ما يُساهم في خلقِ فرد سوي ذا طبيعة اجتماعيّة متأقلم مع محيطه الخارجي. عكس الفرد الذِّي تربى على التَّسلط، والأساليب الصَّارمة، وإجباريّة الانقياد للأوامر. ما يؤثِّر سلبيًّا على نفسيَّة الفرد، وبذلك توجهاته ورؤاه في المستقبل .

---

[1] – على شاكر الفتلاوي: العزلة الاجتماعية لدى المهجرين العراقيين، مجلة كلية الآداب، جامعة القادسية، العراق، الع: 91، (لا ت)، ص 388.

[2] – المرجع نفسه: ص 387.

[3] – المرجع نفسه: ص 387، 388.

3.2 جدل المركز والهامش:

1.3.2 مفهوم المركز:

1.1.3.2 لغة:

جاء في **لسان العرب** ل**ابن منظور** في تعريفه للمركز أنّه: « **من رَكَزَ: الرَّكْزُ: غَرْزُكَشيئًا منتصبًا كالرمح ونحوه تَرْكُزُه رَكْزًا في مَرْكَزِه، وقد رَكَزَه يَرْكُزُه، ويَرْكِزُه رَكْزًا، ورَكَّزَه. غَرَزَه في الأرض. والمَراكِزُ: مَنَابِتُ الأسنان. ومَرْكَزُ الجُنْدِ: الموضع الذي أُمروا أَن يلزموه، وأُمروا أَن لا يَبرَحوهُ. ومَرْكَزُ الرجل: موضعُه، ومَرْكَزُ الدّائرة: وَسَطُها .**»[1]

وورد في **القاموس المحيط**، « **رَكَزَ الرُّمْحَ يَرْكِزُهُ. ويَرْكَزُهُ: غَرَزَهُ في الأرض. والمَرْكَزُ: وسَطُ الدَّائرَةِ. ومَوْضِعُ الرَّجُلِ ومَحَلُّهُ حيث أُمِرَ الجُنْدُ أن يَلْزَمُوهُ، والرَّجُلُ العالِمُ العاقِلُ السَّخِيُّ الكريم، والرَّكِيزَةِ ودَفِينُ أهلِ الجاهِلِيَّةِ، وقِطَعُ الفِضَّةِ، والذَّهبِ مِنَالمَعْدِنِ.**»[2]

يتَّضِح من هنا أنَّ المركز في المعاجم العربيّة يعني: النّقطة التي تنتشر منها محيط الدَّائرة، والذّي يتّسِم بالثَّبات والاستقرار، ويدلُّ على كل ما هوثمين من ذهبٍوفضة، ورفيع الشّأن من ملك، وعلم، وعقل .

2.1.3.2 . اصطلاحًا: يتلازم المركز والهامش كثنائية ضديّة، يستدعي بذكرأحدهما وجود الآخر، فلا وجود للهامش في غياب المركز؛إذ أنَّ المركز يبقى له الأولويّة، والصّدارة،

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، المج: 5، مادة (ر ك ز)، مرجع سابق، ص 355 .

[2] - الفيروز بادي: القاموس المحيط، مادة (ر ك ز)، مرجع سابق، ص 461.

* ميشال فوكو Michel Foucault: (1926م . 1984م) فيلسوف ومؤرخ فرنسي بارز، وأستاذ جامعي، حلل وأرَّخ العديد من المشاكل النفسيّة كالجنون، كما أنّه أرّخ لتاريخ الجنس، وهو مبتكر مصطلح "أركولوجيا المعرفة". ازدادت شعبيته بعد الح ع 2، وخاصة بعد انتشار أفضل أعماله: " The order of Things"، يمكن تصنيف أعماله على أنها أبحاث ميتافيزيقيّة وتاريخيّة. ينظر: من هو ميشيل فوكو؟، شخصيات، نشر بتاريخ: 2018/04/06م، https://www.arageek.com اطلع عليه: 2019/02/23م، الساعة: 19:24 .

والامتياز، والمركزيّة في حين يبقى للهامش الخضوع، والتّبعيّة، واللامركزيّة. وبحسب رأي **ميشال فوكو*** « **فإنَّ ما يمكن ملاحظته على الهوامش فإنّها تتحدد بناءًا على علاقتها بالمركز. فالخارج يتحدد بناء على الدّاخل ما ذلك لأنَّ الهوامش تظهرفي مفاهيم الدّاخل، ومن ثمَّ فالفقراءوالمقصيوناجتماعيًا يتحدد موقعهم في المجتمع الذّي يصبغ عليهم الصفة أو تلك، ويتموقعون بحسب علاقة بالمركز توحي إلى مجموعة معايير خاصة بهما مثل الاهتمام، الاستهلاك وغيرها من المعايير** »[1]. فالملاحظ على مفهوم الهامش بجميع اشتقاقاته (المهمّش، التّهميش، الهوامش ،...) يشترك في الإقصاء، والنِّسيان، والدُّونيّة، وكل تلك الضوابط الاجتماعية الإيديولوجيّة النفسيّة .

فكل ذلك الاضطهاد والتّصنيفات المتدنيّة هو ما أدى بالهامش إلى العمل على تخطي عقدة التّفوق وإبراز مكانته. ففي أغلب الأحيان يتحول الهامش إلى مركز فمثلًا: الكتابة في الهامش « **قد تكون تنفيسًا عن المتن بحكم ضغط المتن، وقد تكون تنفيسًا من خلال الهامش، فقد تعبر عما لا يستطيع المتن أن يعبر عنه، (...) أو نوع من الانزلاق المنقلب من قبضة الكتابة المركزيّة المؤسسة (...) ولذا قد تكون معبرة بشكل قوي عن المسكوت عنه، أو مالا يحتمله المتن في جوفه، وبعبارة أخرى قد تكون كتابة موازية للنّص، وغالبًا ما يكون النَّص الرّوائي محاطًا بسور فاصل بين نصين: نص أساسي ونص ملحق، فالأول يشكل مركزًا بؤريًّا نوويًّا، والثاني: يمثل نصًا محيطًا يأخذ وجوده الحقيقي بوجود الأول .**»[2] ومن هنا يتضح أنّه لا وجود لمركز من دونهامش الذّي يكمله ؛ إمَّا بتوضيح وتفسير الغامض منه، وإمّا بإتمام مانقص منه. فكل ماهو مخفي، وغير مرئي هو أساس قيام، ووجود الظاهر، والمتميِّز فمثلًا: في أفلام السِّينما الظَّاهر للعيان أنَّ للممثلين الفضل في نجاح العمل. غير أنّ لرجال الخفاء . كما يسمون . من أصحاب الإضاءة، ومصممي

[1] – جمال مجناح : جدل المفاهيم في موضوعة التهميش و المهمشين ، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش و المصطلحات المجازرة ، مرجع سابق ، ص 2 .

[2] – هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص 40.

الدِّيكور ، والمخرج، وأصحابالزِّينة، (...)، وغيرهم كثير ممن لهم الفضل الأكبر في النَّجاح. وهنا يكون الممثلين هم المركز ورجال الخفاء هم المهَمشين. فلا يكتمل الواحد بغياب الآخر.

وعلى مستوى الفكر الاقتصادي فقد برز المركز والهامش كمفهوم لنظريّة تعمل على تفسير التَّخلف، وتعتمد على فكرة وحدة الاقتصاد العالمي الذِّي يتكوَّن من الدُّول المتقدِّمة التي تمثِّل مركز العالم والدول المتخلِّفة أو كما تعرف بدول العالم الثالث، والتّي تمثل هامش أو محيط هذا الاقتصاد، فمصطلح المركز والهامش« **مضلل لأنَّه في مركز العالم الرَّأسمالي نفسه وعلى مستوى كل دولة يوجد استقطاب طبقي حاد مثل: في أمريكا 1% من السُّكان يستحوذون على 40% من الثروة وأغلبيّة مهمشة من عاملين بأجر، يتعرَّضون للاستغلال الرأسمالي، وتستحوذ الطَّبقات الرّأسماليّة أو الشّركات المتعدِّدة الجنسيات على فائض القيمة منهم. إضافة للمُهمَّشين من العطالة والأقليات والنِّساء. وفي دول الهامش هناك استقطاب طبقي حاد ؛ حيث تستحوذ أقلية على الثَّروة والسُّلطة وتعيش الأغلبيّة في فقر مدقع، على سبيل المثال في السودان 5% يستحوذون على 88% من الثروة** »[1]فهذا الإجحاف في طريقة توزيع الثَّروة هو أصل فساد المجتمعات، وظهور الطّبقيّة، والآفات الاجتماعيّة التي طالما عانى منها الإنسان على مرِّ التاريخ.

[1] – الحزب الشيوعي السوداني: اللجنة المركزية، مكتب التثقيف المركزي، سلسلة التثقيف السياسي النظري (5)، مفهوم المركز والهامش، منهم التحليل الثقافي، 26، نوفمبر، 2017م، ص 3 .

مخطط رقم: 1 تعريف الهامش والمركز إجتماعيًا .[1]

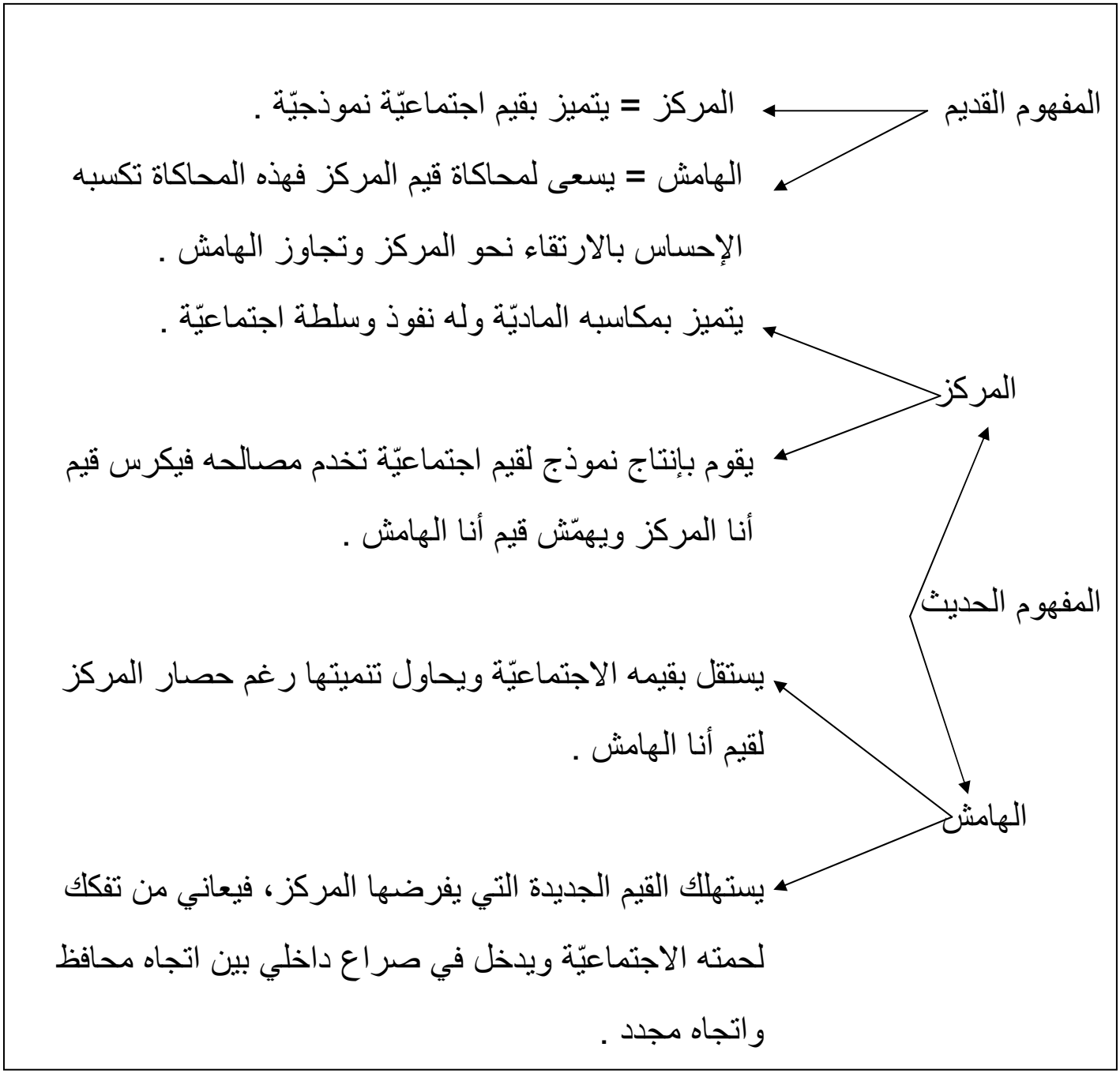

[1] – دليلة الباح: المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015م، 2016م، ص 29.

المبحث الثاني: نظرة المهمّش في منظور العلوم الإنسانية.

1. المهمّش من المنظور التّاريخي :

التَّهميش الاجتماعي معروف منذ القديم ؛ فالرّسول صلى الله عليه وسلم عندما أتى بالدَّعوة الإسلاميّة نُبِذَ من طرف قومه. فمارسوا عليه مختلف أنواع القهر والظّلم والاستبداد، لأنَّهم أحسوا بخطر ما جاء به، لأنَّ المُهمَّش لا يقع عليه فعل التَّهميش ـ في أغلب الأوقات ـ إلَّا إذا كان مصدر قلق وخطر على المركز ؛ لذا فهذا الأخير يعمل كل ما في وسعه لطرده وعزله .

نفى القرآن الكريم، والسّنة النّبويّة الشريفة كل النفي استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وبذلك كل أنواع القمع، والطّبقيّة، والتّفرقة، والعبوديّة. وهو مانجده كذلك في فترة الخلفاء الرَّاشدين الذِّين عمِلُوا على بناء أمة يسودها العدل والمساواة، يقول **عمر بن الخطاب** . رضي الله عنه . : « "**متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا**". **كمايروبأنه قال "لو استقبلت من هذا الأمر[الخلافة] ما استدبرته، لرددت فضول أموال الأغنياء على الفقراء. وأبي ذر الغفاري ـ الذي يحب النّاس ترديد ـ قوله: "عجبت لمن لا يجد قوتا في بيته. كيف لا يخرج على الناس شاهرًا سيفه".إنَّ هذين الإسمين يشهران على توجّه معين لصالح المحرومين، وعلى مستوى السّلطة، وعلى مستوى الجماهير كذلك** .»[1] ومن أكثر ما نجده كذلك في كتب التاريخ الحالة التي كانت عليها أرض المسلمين في فترة الخليفة **عمر بن عبد العزيز** من ثراء، ونعيم، ووِئام، وتضامن ومواساة، وهو القائل: " أُنثروا القمح فوق رؤوس الجبال،حتى لا يُقالَ جاع طيرٌ في بلاد المسلمين"، فهذا دليل على قمة الخير والعدل الذي كان سائدًا آنذاك .

[1] – الطاهر لبيب: سيسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري نموذجا)، تر: مصطفى المسناوي، دار الطليعة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص 153.

حُورِبَ من بَعدِ الرّسول صلى الله عليه وسلم أهل العلم، والفكر، والفلاسفة أمثال: ابن رشد، وأبو حيان التّوحيدي، وكتابات الجاحظ في البيان والتّبيين، والحيوان. وذلك من خلال: حرق كتبهم أو عزلهم عن مجتمعهم وعدم الاهتمام بهم. وهذا غيض من فيض ذكر بعضه الدكتور **ياسين الأيوبي** في كتابه **مهمشونمبدعون في تراثنا الأدبي.** فهناك الكثير ممن هُمِشُوا، واندثرت مؤلفاتهم وكتبهم وأشعارهم إلى يومنا هذا، ولم نسمع بهم.

وهذا ما أدى بالكثير من النُّقاد إلى أن يُنْسِبُوا إلى مصطلح أدب المهمشين، الكثير من الكتابات التي تناولت الهامش الاجتماعي بتجلياته المختلفة، « **سواء الهامش الديني أو الهامش الجغرافي، أو الهامش الاجتماعي أو الأقليات بشتّى أنواعها. وكأنَّ أدب المهمشين أو الكتابات التي اتخذت من الهامش موضوعًا لها قيمة، من شعراء الصّعاليك وشعراء الغزل العذري، وقبل كل هؤلاء شاعرة الإغريق سافو*.**»[1]بالإضافة إلى ذلك شعر الزُّهد في العصر العباسي الثَّاني، فهم يمثلون نموذجًا للمهمّشين، وكل هذا نجده موضحًا عند **الطّاهر لبيب** في كتابه **سيسيولوجياالغزل العذري،** الذّي بيّن فيه موقف الشّعراء العذريين، واعتبارهم مهمّشين، وذلك من خلال ذكر العديد من أساطير الأبطال العذريين«**تُلحّ الأسطورة على هامشيّة البطل الاجتماعية، فهو يرمي بنصائح أهله جانبًا،**

* سافو: شاعرة الحب والجمال عند اليونان ؛«شاعرة الإغريق التي تمردت على ما يكتبه شعراء عصرها من ملاحم وقصص البطولة والمعارك، واتجهت اتجاهًا خاصًا في الشعر، تعبر عن عواطفها الذّاتيّة والإنسانيّة، من عشق وضعف وصراع إنساني فردي، ورغم تمردها الشديد في النظر لجدوى الكتابة التي يجب أن تعبر عن عواطف إنسانيّة بعيدًا عن الكليات والقضايا الكبرى. ورغم كونها امرأة إلا أنّها استطاعت أن تنزع تقرير واحترام فيلسوف كبير عُرف بمواقفه المتحيزة ضد المرأة وضد الشّعراء، وهو أفلاطون فقد قال عنها وعن شعرها مشيرًا إلى الأساطير اليونانية: يقولون إن رَبَّاتِ الشّعر تسع، ألا ما أعظم غباءهم، فليعلموا أن سافو ابنة مدينة لسبوس هي العاشرة .». ينظر: هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص 105، 106 .

1-المرجع نفسه: ص 97، 98.

ويجعل قبيلة حبيبته تطرده. أما السُّلطة فهي، بدورها، تهدِّده، وتهدر دمه بلا عقاب، ولمنه مع ذلك، عفيف، ومجنون في بعض الأحيان »[1]فكل تلك الاضطرابات من فقدان الحبيبة، والمأوى،والتَّعذيب، والتَّهديد، والقتل، والطَّرد. كل هذا يقع تحت ما يسمى بالتَّهميش الاجتماعي.

ونتيجة الظُّروف المحيطة بهموالقسوة، والظّلم المسلّط عليهم. فكل تصرف أَوْرَدْ فعل صادر عنهم يُعتبر انحرافًا غير أنَّ **محمود إسماعيل** يراهم جماعات متمردة على ديكتاتورية السلطة / المركز. ويرى أنّ لهم ثقافتهم الخاصة، ولهم أدبهم الذّي يُعبر عن وضعيتهم المهمّشة في مجتمعهم، وموقفهم الأيديولوجي من قضايا عصرهم « **حيث أبدع العوام أيضًا أدبًا جهاديًّا، نضاليًّا يعانق قيم الدّين وفضائل الفروسيّة. لكن معظمه عصفت به أيدي التَّخريبوالحرق. كما خلّفوا أدبًّا شعبيًّا عرف باسم أدب الزُّهدوالرَّقائق الذِّي يعبر عن موقف العامة إزاء الحكام الجائرين. وكانت مجالس الوعظ منتشرة في الحواضر الإسلاميّة (...) لكنَّها تحولت تحت تأثير تفاقم الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة إلى بؤر ثوريّة (...)**»[2]فروائع النّماذج الأدبيّة القديمة هي من نتاج الفئة المهمّشة في المجتمع ؛ لأنَّهم من الطّبقة المعذّبة المهملة ،والمثقلة بالهموم، والآلام نفسها ؛لذا جاءت أعمالهم معبِّرة بصدق عن واقع فئتهم .

وبما أنَّهم اختلفوا في بدايات ظهور المصطلح، فمنهم من يرى أنَّ المهمّش أول ما أطلق كمصطلح يُشير إلى جماعة بشريّة، وحركة تقف على يسار المركز في المجتمع الأمريكي، فظهرت مجموعات كثيرة تسمى بالهامشيّة أو الحركة الهامشيّة، « **تعود نشأة هذه الحركات إلى المجتمع الأمريكي في العقد الثالث من القرن العشرين(1920م . 1930م) حيث استقطبت اهتمامات السوسيولوجيين الأمريكان مع مدرسة شيكاغو (...) التي**

[1] – الطاهر لبيب: سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري نموذجا)، مرجع سابق، ص 153 .

[2] – هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص 110، 111 .

كثرتفيها الأحاديث حول مجموعات كيدس والكانج(...)، وهم أطفال المهاجرين الذّين يعيشون في الشّارع (...) إنَّهم إيطاليون ويهود وألمانوبولونيونوإيرلنديون ومكسيكيون وسود منحدرون من الجنوب (...) بريطانيا التّي ظهرت فيها مجموعة "تيديبويس" وفرنسا التي ظهرت فيها حركة "أصحاب الياقات السوداء"»[1].

بينما تُجمِع مُعظم الدِّراسات الاجتماعيّة على النّشأة الأوروبيّة للمفهوم في السّبعينات من القرن الماضي مع بروز ظواهر اجتماعيّة متعدّدة استدعت استخدام تحليليّة جديدة للأوضاع السّائدةوخاصةمعصدوركتاب**ضحايا الإقصاء**ل**رينّيهلنوار**« **وهو مسؤول عن الحكومة الفرنسيّة، ونسب إليه أول من وضع المفهوم الحديث للإقصاء الاجتماعي في فرنسا في العام 1974م. بعد أن لاحظ أن عشر الفرنسيين يعيشون في ظروف اقتصاديّة واجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن حياة سائر الفرنسيّين، ويعانون من حالات إقصاء بعد أن عجز الاقتصاد الفرنسي في فترة نموه على إدماج بعض مكونات المجتمع .»[2]** وكما ذكرنا سابقًا فكلمة إقصاء هي من البدائل المستعملة للتّعبير عن التّهميش الاجتماعي .

وهناك العديد من المفكريين الإنسانيّين الذّين بحثوا في صور الإقصاء، والتّهميش والعزل الإنساني ؛ إذ « **ميشال فوكو بحث في المرضى والمجانين، والنِّساء، كعناصر معزولة عن المجتمع وتبرهن على هوية أخرى لمركز المجتمع، فالمُهمَّشون مدخل لفهم ثقافة المركز، التّي اعتنى بها "جاك دريدا"* في "الكتابةوالإختلاف" (...) ليأتي "إدوارد**

---

[1] – هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص 47،48 .

[2] – محسن عوض: قضايا التّهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة، نحو مقاربات جديدة لمكافحة التّهميش في العالم العربي ،(د. د)، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2012م، ص 6 .

*- جاك دريداJagueDerreda:(1930م – 2004م)، جزائري فرنسي، أهم فلاسفة القرن العشرين، رائد الفلسفة التفكيكيّة ،له أكثر ما يزيد عن الأربعين كتابًا، إضافة إلى مئات المقالات التي كانت تنشر في دورية Tel guel، خلّف إرث عظيم في الفلسفة، من أهم مؤلفاته: Of grammatologie أو "في علم الكتابة" و Writing and Difference أو "الكتابة والاختلاف". ينظر: من هو جاك دريدا ؟، نشر

سعيد"[*] ، ويفهم هذا كله، ويكون نسقًا مختلفًا ومغايرًا تحاربه، وتهمشه المؤسسة السّياسيّة والثّقافيّة الغربيّة ، لرميه حجرًا معرفيًا يحرك مياه الفكر الإستعماري الرّاكدة والثّابتة، بينما "بيير بورديو"[*] يصوِّر حالات المعزولين من المهاجرين الجزائريّين في أحدالأحياء الفرنسيّة الفقيرة، في كتابه "بؤس العالم" »[1]

وتشابهه في ذلك الإهتمام الناقدة «"**جوليا كريستيفا**"[*] **في كتابها "غرباء عن أنفسنا" في رصد حالات المنفيِّين والأجانب والغرباء (...)، وتأتي "سبيفاك"[*] لتتحدث عن النّساء**

بتاريخ: 2018/02/17م ،https://www.arageek.com، اطلع عليه: 2019/02/23م، الساعة: 19:52.

[*]- إدوارد سعيد Edward Said: (1935م – 2003م)، باحث وكاتب ومفكر فلسطيني أمريكي، عضو سابق في المجلس الوطني الفلسطيني، كتب عدة كتب حول النّقد الأدبي والنّقد الموسيقي وقضايا ما بعد الاستعمارية، عمل كأستاذ جامعي للّغة الإنجليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا، اشتهر بتأليف كتاب Orientalion (الاستشراق) عام 1978م، تحدث في كتابه عن افتراضات العالم الغربي التي تؤدي إلى سوء فهم رموز حضارة الشرق، خصوصًا الشّرق الأوسط. ينظر: ما لا تعرفه على إدوارد سعيد منهو ؟، نشر بتاريخ: 2019/06/19م ،https://www.argeek.com، اطلع عليه: 2019/02/23م،الساعة:20:41.

[*]- بيير بورديو Pierre Bourdieu (1930م – 2002م)، عالم الاجتماع الفرنسي الشّهير، أحد أبرز الأعلام الفكرية في القرن العشرين، يحتل مكانة مميزة في حقل الدِّراسات الإنسانيّة، أنتج أكثر من 30 كتابًا منهم: كتاب الوراثة، اجتماعات الجزائر، بؤس العالم، إعادة الإنتاج (...)، والمئات من المقالات والدِّراسات. ينظر: مبروك بوطقوقة: بيير بورديو، موقع أرنتروبوس، نشر بتاريخ: 2010/03/07م، https://www.aranthropos.com، اطلع عليه: 2019/02/23م، الساعة: 21:22.

[1]- ينظر: سعاد العنزي: المهمشون في الأدب، موقع ثقافات، نشر بتاريخ: 2013/10/30م، https://www.thagafat.com، اطلع عليه: 2013/02/24م، الساعة: 11:20.

[*]- جوليا كريستيفا Julia Kristeva: ولدت في بلغاريا 1941/06/27م، واستقرت في فرنسا، من أبرز منظري النّقد الأدبي والنّظريّة اللّغويّة الحديثة، باحثة في السِّيميولوجيا، وناقدة أدبيّة، ومحلّلة نفسانيّة، من المدافعات، والمناضلات عن حقوق المرأة. لأنَّ المرأة في نظرها عبقريّة، وقادرة على فعل كل شيء، من الأعضاء البارزين في جمعية الكتاب، وواحدة من أبرز نقاد البنيويّة وما بعد البنويّة، من مؤلفاتها: نص الرّواية، عبقرية النّساء، اللّغة المتعدّدة (...)، بالإضافة إلى العديد من المقالات (...)، ومن المفاهيم التي

الهنديات المعزولات بوصفهن مدلولا (أي مفعول به) وليس دالا (فاعلا ناشطا) في كتابها "هل يستطيع الثّانوي أن يتحدث". لتكشف عن حق النّساء المُهمَّشات والمحرومات من حقِّ الكلام »[1].

نتيجة كل تلك الإصدارات من الكتب، والمقالات، وانعقاد النَّدوات والمحاضرات(...)، وغيرها ممن يُدافع عن المُهمَّش ويُطالب بحقه، مادفع إلى انتقال الهامشيَّة وتَوَسُع آفاق دراستها، لتصبح مصدرًا يستقى منها في المجادلات الموسعة خاصة المتعلِّقة سواء باندماج المهاجرين الرِّيفيين في مسار المجتمع المدني أو الحضري، أو اندماج المهاجرين الأجانب في ثقافة المجتمع المضيف. وهو مايحدث حاليًا ؛ أي الجدل

العنيف القائم في أوربا حول الجالية الإسلاميّة العربيّة، وطبيعة وضعها هناك من جميع نواحي الحياة (الدّين، الجنسيّة، التعليم، العمل، الحقوق والواجبات (...))، فهم يُعتبروا مهمشين. ومن ذلك الهجرة السِّرية أو ما يعرف عندنا في الجزائر باسم "الحرقة " أو " الحراقة " _ فهو موضوع الساعة _إضافة إلى هجرة الأفارقة من الجنوب الصّحرواي وما يعانونه وهذا ما سنتطرق إليه بالتّفصيل_ بإذن الله_ في الفصل التّطبيقي من دراستنا.

2 . المهمّش من المنظور الاجتماعي :

قدمها: مفهوم التّناص أو الحوارية النّصيّة. ينظر: عمار بن طوبال: جوليا كريستيفا وعبقرية النّساء، موقع الجزائر نيوز، https://www.djazairess.com، اطلع عليه: 2019/02/23م، الساعة: 21:43.

*- غاياتريشاكرافورتيسبيفاك: سبيفاكGayatriChakravortySpivak: ولدت في مدينة "كلكتا" بالهند سنة 1941م. من كتبها "في عوالم أخرى: أبحاث في السّياسات الثّقافيّة"، "النّاقد ما بعد الكولونياليّة: أحاديث استراتيجيات وحوارات" (...)، مساهمة في نظريات التّحرر النّسوي، وملخص منهجها: أنه مزيج من الماركسيّة في صيغها النّقدية وما بعد البنويّة وتفكيكيّة جاك دريدا وأحيانا التّحليل النّفسي. والمحاور الأساسيّة التي يرتكز عليها فكرها النّقدي: النّقد النّسوي، والنّقد الكولونيالي ما بعد الكولونيالي. ينظر: عمر أزراج: غياتريسبيفاك امرأة تحارب التّبعيّة والذكوريّة وبقايا الاستعمار، موقع العرب، نشر بتاريخ: 2014/12/21م، https://alarab.co.uk، اطلع عليه: 2013/02/23م، الساعة: 22:20

[1]- ينظر: سعاد العنزي: المهمشون في الأدب، مرجع سابق .

ارتبط المفهوم الاجتماعي للمهمّش منذ القديم بالمركز، وذلك من خلال تقسيم طبقات المجتمع للأسياد والعبيد، الفقراء والأغنياء، الأقوياء والضّعفاء (...)، وهذا ما ينتج عادات خاصة بكل فئة من خلال طريقة اللّباس والأكل والشّرب والسّمر، فالمركز والهامش هو تعبير يستخدمه علماء الاجتماع « **بمفهوم اجتماعي وجغرافي للدَّلالة على العلاقة بين قلب القوة والثَّقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطة** »[1]. فلا يمكن لطبقة العبيد أن تمارس عادات الأسياد، وذلك لأنّ لكل منها ما يناسب وضعها وطبيعة نشأتها.وهذا الانقسام والاختلاف بين النّاس منذ القدم هو سبب الفساد.

فالمنطقة الهامشيّة هي « **إقليم يقع على هامش منطقة ثقافيّة معينة، تلتقي فيه ثقافتان أو أكثر، وتحلّ فيه السّمات الثّقافيّة للثّقافات المجاورة.**»[2]هذا هو ما يفسر انبهار المهمّشين بثقافة المركز، ويجعلهم في محاولات دائمة لتغيير وضعهم وتوفير حياة كريمة كأمثالهم من أصحاب المركز، وفشلهم هو ما يدفعهم للوقوع في المحضور .

تعتبر « **نظرية الجماهير الحاشدة واحدة من نظريات المجتمع التي ظهرت في نهاية القرن 19، تأسست على مبدأ الفصل المزعوم بين الفرد والآخر، ومشاعر العزلة، والتّغريب التي تنشأ بين أفراد المجتمع الواحد أو داخل الإثنية الواحدة، وقد ربطت هذه النّظرية نشوء المجتمع الحاشد بحركة تحول المجتمعات من صورتها التّقليديّة إلى صورة حديثة** »[3]، وهذا ما يفسر التَّحول الذي طرأ على المجتمعات من انهيار عوامل الثِّقة، وتفكك العلاقات المبنيّة على الصِّدق والمحبّة، ولعلّ انهيار عنصر الثِّقة هوما أدى إلى شعور الفرد بعدم الانتماء. وهو ما يفسر تفكك المجتمعات الحديثة.

---

[1] – دليلة الباح: المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، مرجع سابق، ص 26.

[2] – محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، (د. ط)، (لا. ت)، ص 277.

[3] – أحلام بن شيخ: الواقعيّة وصناعة رواية المهمّشين في المنظورين الاجتماعي والنّقدي، مرجع سابق، ص 30 .

وفي معظم الدِّراسات نلاحظ أنَّ علماء الاجتماع قد ناقشوا ظاهرة التَّهميش من منظور أنَّهم فئات منحرفة كالمتسوِّلين واللصوص والمتشرِّدين، وذوي العاهات منهم، وبالتَّالي تحول المعيار المحدَّد للهامش، والمهمشين إلى الموضوع الاجتماعي المرتبط بالفقر، والتَّسول،والتَّشرد. إذ أنَّ هذا لا يصح لأنَّ العديد من المهمشين هم أُناس عاديين.

ويقول صاحب النَّظريات الاجتماعيّة الفرنسي **جوستاف لوبون**[*] في كتابه الشّهير**الجماهير**: «**لا يوجد شيء ذا تأثير كبير على خيال الجماهير من التَّمثيليات المسرحيّة والعروض المسرحيّة حيث يمرُّ الجماهير على اختلافهم بنفس العواطف في الوقت نفسه وإن لم تكن هذه العواطف قد تمثّلت إلى أفعال في نفس الوقت، وذلك لأنَّ معظم المشاهدين غير الواعين لا يمكن تجاهل أنهم ضحية لأوهام وأنَّهم يضحكون أو يبكون على المغامرات الخياليَّة وفي بعض الأحيان فإنَّ المشاعر التِّي يتم اقتراحها من خلال الصُّور تعدُّ بالغة القوة، وتقدّم مثل المقترحات المفترضة إلى أن تحيل نفسها إلى أعمال**»[1]؛يعني ذلك أنّ مستويات التَّأثير التِّي يرمي إليها **لوبون** تضع المتلقي أمام الفوارق النَّاجمة عن الاحساس بمركزية المشاعر والأحاسيس، وهو الأمر الذِّي قدّم للعديد من نظريات إشاعة الفوضى والتَّفريق بين فئات الشّعب ومن ثمَّ أوصلنا إلى تأصيل ما يسمى بالهامش في كل شيء .

---

[*]- غوستاف لوبونGustave le Bon : (1941م ، 1931م) ،هوالطّبيب والمؤرخ الفرنسي الشّهير،عمل في كلا من أوربا وآسيا وشمال إفريقيا، له رصيد كبير من الكتب منها ما هو في علم الآثار والأنثروبولوجيا، وقد اهتم أيضًا بالحضارة الشّرقيّة. من أشهر كتبه: "حضارة العرب وحضارات الهند"،و"الحضارة المصريّة"، وكتاب "حضارة العرب في الأندلس" وكتاب "سر تقدم الأمم". ينظر: ريهام عبد النّاصر: أفضل أقوال غوستاف لوبون،المرسال،مقال نشر في:
2018/01/04م،https://www.almrsal.com،اطلع عليه: 2019/02/13م،الساعة: 21:42.

[1]- أحلام بن شيخ: الواقعيّة وصناعة رواية المهمَّشين في المنظورين الاجتماعي والنّقدي، مرجع سابق، ص 30 .

3 . المهمّش من المنظور النّفسي :

يرتبط مصطلح الهامش بعلم النفس من خلال: الانعزاليّة، والوحدة، والخوف، والاحتياجات الخاصة، والعاهات، والعنف ،(...)، فللتَّهميش أضرار مادية كما له أضرار معنويَّة. وهذه الأخيرة هي أبرز أسباب، وأكبر دوافع العاهات والعقد النفسيّة لدى المهمّش. لأنّ شعوره بالانفصال والضّياع مايدخله في دوامة من الحيرة والاضطهاد وهذا ما يولد العنف والقمع .

يرى المنظور النّفسي أنَّ الدَّوافع التّدميريَّة متأصلة في الإنسان، وهي ترجع إلى مراحل مبكرة من حياة الإنسان، فضعف الأنا العليا (الضّمير، القيم (...))، وسيطرة الذّات الدنيا (النّفس الأمارة بالسّوء)، ومشاعر الإحباط هو ما يدفع بالمُهمَّش للجنوح إلى العنف والعدوان كأسلوب للتّعبير عن الذَّاتِ لإحساسهم بالإهمال والفراغ.

ونجد أنَّ الغضب من الأنماط الشَّائعة للتَّعبير عن الرَّفضِ، وهو ما نجده أكثر في فئة الشّباب والمراهقين خاصة ؛ فالمراهق يميل إلى السّلوكِ العدواني، ويظهر ذلك من خلال معاملته مع الكبار ومصادر السّلطة والمجتمع. هذا لأنَّه في هذه المرحلة من حياته يعيش حالة من التَّيهان للبحث عن مكانته ودوره الذِّي يرغب في تحقيقه في المستقبل.

ترى **كاران هورني*** أن هناك بعض النِّقاط لأبرز وأوضح مميزات هذا النّوع من العدوان:

---

*- كاران هورني Karen Horney (1885م . 1952م)، ولدت في هامبورغ بألمانيا، محلّلة نفسيّة ألمانية، تنتمي إلى مدرسة التّحليل النفسي، ومن منظري الشّخصيّة، من الذّين تأثروا بفرويد غير أنّها خالفته (...) تحليله للإناث وتأكيده على الغرائز الجنسيّة، وقد استوحت من عملها إلى العوامل البيئية والاجتماعيّة (...)، واعتقدت أن القوى الاجتماعيّة في الطفولة ليست القوى البايلوجيّة هي التي تؤثر في نمو الشخصية، فالعلاقات الاجتماعيّة بين الطّفل ووالديه هي الأخرى العامل الأساس. ينظر: محمد جميل: نظرية كارين هورني، مقال نشر في: 2016/11/14م ،
https://ppsy–pro–cdn.ampproject.org، اطلع عليه: 2019/03/04م، الساعة: 10:13 .

– أنَّه يبدأ من مسلمة هي أن العالم الذِّي نعيش فيه عالم عدواني .و لذا فعليه شعوريًا أو لا شعوريًا أن يقاوم العدوان ويحاربه (...) .

– الإحساس أو الرّغبة الأولى لدى المراهق من هذا النّمط هي الرّغبة في أن يكون قويًا يسيطر على الآخرين، ويهزم أعدائه أيًا كانوا أو أينما كانوا (...).

– الميل إلى السيطرة قد يكون في صورة ضمنيّة أو في شكل مساعدة للغير (...) .

هذا وقد أوضح **بيشوف**Bischofأساليب التّوافق الكبرى عند **هورني** في هذا المخطّط البسيط: [1]

خضوع ←التّحرك نحو النّاس ←(الطفل).

عدوان←التّحرك ضد النّاس ←(المراهق) .

ابتعاد←التّحرك بعيدًا عن النّاس←(الراشد) .

يذهب الطفل فطريًا لمن يَحِنُّ عليه ويحتويه، أما المراهق فهو ينفرهم ويمقتهم ليؤكد لهم عدم حاجته إليهم، في حين الرّاشد يقتنع بالفكرة فينسحب وينعزل عنهم .

يرى علم النّفس أنّ المُهمَّش ما هو إلا إنسان يعاني من مسائل نفسيّة، أَدخَلته في حالات اضطرابية، ماجعل منه إنسانًا مكبوتًا، وانطوائيًا، وعصبيًّا، ومنزويًا، وانكماشيًا، ومكتئبًا، ما يجعل علاقاته التّواصليّة معدومة ومهزومة، غير متأقلم ومتفاعل مع محيطه، وحتّى أنَّه يصل إلى أن يكون غير آبه لما يحدث حوله. وقد تكون هذه المشاكل النّفسيّة لازمته منذ الصّغر، لأسباب قد تكون عائلية أو اجتماعيّة، وهذا ما يفسر تصرفاته، التّي تجعل منه مذنبًا ،و تضعه في خانة المهمّشين.

[1] – عصام عبد اللطيف العقاد: سيكولوجية العدوانية وترويضها، منحى علاجي معرفي جديد، مرجع سابق، ص 134 .

3. المُهمَّش من المنظور الأدبي :

إن كانت طبقة المهمّشين والفقراء طبقة غُيبت عنها حقوق الحياة والعيش، ونادرًا ما يُلتفت إلى أنينها، وذلك لأسباب سياسيّة، واقتصاديّة، وحتّى دينيّة، وأخلاقيّة. فقد نالت حظَّها من الجانب الأدبي الذي أنصفها وأعطى لها حقها .

يطلق على الأدب الذِّي يتناول أحوال وهموم هذه الطّبقة بأدب الهامش أو أدب المهمَّشين. وهو «**كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء أكانت سياسيّة أو اجتماعيّة أو ثقافيّة أو أكاديميّة، وهو بذلك يقع بعيدًا عن الرِّعاية والاحتضان بل ويجري العمل على نبذه واستبعاده من دائرة الضَّوء وقد تسلِّط عليه الرَّقابة والمنع إذا ما بدا عليه أنه يتجاوز الخطوط الحمراء المنَّبه عليها (...) »**[1]. وما يطلق على أدب الهامش هنا يمكن إطلاقه على مستويات أخرى اجتماعيّة كانت أو سياسيّة أو أخلاقيّة. ويدخل في دائرته ما يطلق عليه بالمسكوت عنه أو المحضور أو الكتابات الإباحية قديمًا وحديثًا، أو ما يعرف اليوم بالكتابات الجداريّة، أو ما يُسمَّى في الأدبيات بالجرافيتي. وهذا هذا الأخير لا يقتصرُ على الرسومات الجداريّة، بل يشمل أيضًا الكتابة الجداريّة. وهي عبارة عن مكبوتات، وعقد نفسيّة واحتجاجات رافضة للأوضاع السّائدة يُفصح عنها من خلال الرّسم والكتابة على الجدران، وهذا ما يجعل منه أدبًا مميَّزًا خارجًا عن المألوف. متمردًا وغير متقيِّد بالمعايير التِّي وضعها المركز أو الأدب الرَّسمي .

وقد تحدثت الباحثة **هويدا صالح** في كتابها **الهامش الاجتماعي في الأدب** عن جنس أدبي كَثُر الحديث عنه باعتباره يتخذ من المهمّشين موضوعًا له وهو « **ما سُميَّ بالرّواية البيكارسكيّة أو رواية الشَّطار والعيار، أو بتعبير آخر رواية المحتالين وأهل الكدية. الرِّواية البيكارسكيّة رواية تشتغل على البيئات المهمّشة. وتعني بالفقراء والمهمّشين الذين يقفون على هامش المتن الاجتماعي، ليس رغبة منهم في ذلك بل إقصاءا لهم من مركزيّة المتن واهتماماته. وقد ظهر مصطلح بيكارسيكا (ICARESCA) في القرن السادسعشر، وهو**

[1] – حسن بحراوي: أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزيّة، مجلة علامات، مكناس، المغرب، الع: 18، 2002م، ص 9 .

يشير إلى نوع من السرد تشكل في إسبانيا لأول مرة. ثم انتقل بعد ذلك إلى فرنسا وألمانياوإنجليترا وأمريكا. وقد كان مهمومًا بتصوير حياة البيكارو أو الشطاري المهمّش ؛ لذلك تنسب هذه الرواية إلى بطلها بيكارو Picaro (الشاطر) أو المغامر.»[1]

ونجد كذلك تعريف **جميل حمداوي** بقوله أنها« **نموذج شخصيّة خالعة وحذرة وشيطانيّة وهزليّة، تحيا حياة غير هنيئة كما تبدو في عيون المؤلفات الأدبيّة الإسبانيّة (...) أو أنه: بطل مغامر شطاري مهمّش صلعوك محتال ومتسول** »[2]ينتمي بطل الرّواية الشّطارية إلى طائفة المهمّشين، الذي يحاول فرض رأيه وإبراز مكانته داخل المجتمع، وذلك بعدَّةِ طرق قد تصِل حتى إلى الخطف والسّلب والخداع، وحتى السّرقة أو التسول ؛ لذا فهو يخترق قواعد القيم الأخلاقيّة التي تفرضها طبيعة المجتمع (الدين والسلطة)، أو بصفة عامة ثقافة المجتمع، وذلك لأنه يرى أن الواقع كلُّه ظالم، ومستبد فرغم ما تتظاهر به من قيم وأخلاق وعدل إلا أنّها لا تطبق أيًّا منهم على أرض الواقع.

وهناك إشكاليّة تتجادل حولها الكتب النّقديّة وهي في أصل نشأة الرّواية البيكارسكيّة ؛ إن كانت مأخوذة من المقامات العربيّة أو الإسبانيّة، وهذه الحساسيّة بين هذين الأدبين موجودة منذ القدم. وقد تأثر الأدب العربي المعاصر كذلك بالرِّواية البيكارسكيّةالشّطاريّة، ويتجلى ذلك في بروز عدة روايات كل محور موضوعها الفئة الضّعيفة الفقيرة المهملة، سواء في المشرق أو المغرب. لكن البداية الأبرز لهذا النّوع كان بلا منازع مع روايات **محمدشكري ثلاثية** (الخبز الحافي، وجوه، الشطار)، هذه الثلاثية التي أبدع فيها **شكري** في رصد عالم المهمّشين في طنجة (المغرب)، حيث حيث اختلطت حياة أبطاله مع حياته، ففيها وصف دقيق للواقع القاسي والمؤلم للمُهمَّشين، وبعدها توالت الإنتاجات لنجد:

محمد زفزاف (المرأة، الوردة، لعبة النّسيان)، و**بنسالم حميش** (محن الفتى زين شامة) **محمد برادة** (الفوء الهارب)، **الطيب الطويلي** (نقمة المهمّشين) (...)، والقائمة تطول. أما في المشرق العربي فنجد: **نجيب محفوظ** (ميرمار)، **عبده خال** (ترمي بشرر)، **محمد**

[1] – هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص 117 .

[2] – ينظر: جميل حمداوي: الرِّواية البيكارسكيّة، موقع دنيا الوطن، نشر بتاريخ: 2006/12/08م، https://pulpit.alwatanvoice.com، اطلع عليه: 2019/03/03م، الساعة: 19:22.

البسطاوي (تلك الرائحة، اللجنة، جوع)، **صنع الله إبراهيم** (بحيرة المساء، يوسف والرداء، مالك الحزين)، **إبراهيم أصلان** (وردية ليل)، **خيري شلبي** (سارق الفرح)، **بلال فضل** (ما فعله العيان بالميت)، **سعود السنعوسي** (ساق البامبو) وغيرهم كثير ممن قدموا صوّرًا مختلفة للبطل المُهمَّش .

أما في الجزائر فقد احتفت معظم الرِّوايات والقصص بالمهمّشين، بداية بالمرحلة التّاريخيّة وما بعدها، وصوّرت الصِّراعات السِّياسيّة، ووقفت على تمظهرات الواقع اليومي المتردِّي، وعرَّت الانتهازيِّين، وسلطت الضوء على المهانين المنسيِّين وكشفت اتجاه النُّخبة ممن انساقوا وراء تيارات براغماتيّة، ومن جهة أخرى ثمة نموذج آخر من الرّوايات استلهموا من التُّراث العربي والغربي، فالمُهمَّش في الرِّواية الجزائريّة هو إنسان عادي مهان دائمًا على المستوى المادي والمعنوي، بل إنَّ معظمهم يحمل في طياته مشاعر وأحاسيس العبقريّة، ولكنه لا تمنحه قدرًا كافيًا للتَّواصل والتَّفاعل مع الآخر، وبذلك قد يلجأ البعض للانتحاروالاستسلام للعجز والكآبة والعزلة، كرد فعل على ظلم واقعه. ومن هذه الرِّوايات نجد: **كراف الخطايا** ل**عبد الله عيسى لحيلح، ياسمينة خضرآلهة الشدائد، بوعلام صنصال حراقة، ياسمينة صالح وطن من زجاج، سمير قسيمي يومرائع للموت، حميد سكيف جغرافيا الخوف، كاماراد رفيق الحيف والضياع الصديق حاج أحمد** ، وغيرهم كثير من الرِّوايات والرِّوائيّين الذِّين صعدوا بالرِّواية الجزائريّة إلى مكانة مرموقة بين آداب العالميّة أمثال: الطّاهر وطار، وعبد الحميد بن هدوقة، وواسيني الأعرج، وأحلام مستغانمي، ورشيد بوجدرة، وكاتب ياسين، وآسيا جبار(...) إلخ.

هذا السَّرد المحتفي بالهامش « **يراهن على الاشتغال على رؤية متَّصلة بالرَّاهن المعيش، وبالسِّياقات السِّياسيّة والثَّقافيّة التِّي أنتجت هذه الكتابة المرتكزة على فضح آليات الإقصاء لعناصرها الثّقافيّة، كذلك تراهن على** "رؤية العالم" **لتحتفي بما هو مستبعد من قبل المركز في ظلِّ سياق سياسي وثقافي متباينومغاير عن السابق»**[1] وكأنه بالاشتغال على المضمرات النّصيّة بات أعمق من مسألة التّخييل، وحوارية النّص تصور الوقائع ونقلها بشكل تأملي يتجاوز العرف الفنِّي الرِّوائي .

[1] – هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص 27 .

إذا كان المهمَّش هو صورة لكل ماهو مخفي، ومقصي، ومضطهد، فهذا يعني أنه لا يقتصر في الأدب على الشّخصيات فحسب، بل يتعداه إلى عناصر أكثر دقة، وأقل ظهورًا، والمقصود هنا تجليات الهامش في العتبات النّصيّة: من خلال الغلاف الخارجي؛ وذلك في دلالة الخطوط العريضة والرّفيعة، وكثافتها وقلَّتها، أما اللون: يتجلى من خلال توزيعه على مساحة الغلاف وفي عمقه، وبهتانه (...)، وهذا كلُّه يدلُّ على مركزيّة المدلول وهامشه وما يرمي إليه مضمون الكتاب، فالغلاف الخارجي هو بوابة الكتاب ومرآة عاكسة لمحتوى النّص.

الفصل الثاني :

المبحث الأول :

1. دوافع الواقع المعيش في تفشي ظاهرة الهجرة غير الشرعية .
2. التّحديات و الأخطار التي يعانيها المهاجر الإفريقي .
3. البيئات المتقوقعة على هامش المدن .

المبحث الثاني :

1. السلطة العشائرية في الريف الجزائري .
2. سلطة الأولياء الصالحين في الثقافة الجزائرية.
3. دور السلطة الذكورية في تهميش المرأة .

تمهيد :

لرصد صورة المُهمَّش في الرِّواية الجزائريّة، قمنا ببحث متواضع على مجمل الرِّوايات الجزائريّة القديمة (التَّقليديّة) منها، والجديدة (قراءة البعض وقراءة مقالات عن البعض الآخر)، بحثًا عن رواية يكون موضوعها الرّئيس الحديث عن **المُهمَّش الاجتماعي،** وحبذا لو كان مهاجرًا غير شرعي ؛ عانى من التّهميش والنِّسيان داخل وطنه وخارجه، أو يكون البطل من ذوي الاحتياجات الخاصة ؛ عانى من دونيّة وشفقة نظرة المجتمع إليه،أو يكون من أطفال الشّوارع،أو أحد ساكني البيوت القصديريّة علىهامش مدنالضَّواحي ، وغيره من الأبطال الذّين تتجلى من خلالهم صورة المُهمَّش، وكيف صوّره الرِّوائي الجزائري في رواياته. ولكن للأسف لم أجد مبتغاي سوى مع رواية **جغرافياالخوف لحميد سكيف** التّي ضاع معظم وقتي في البحث عنها ولم أتمكن من العثور عليها إضافة لرواية أخرى **لياسمينة خضرا** المعنونة **بإلهة الشّدائد** أو بترجمة أخرى **نظرةالمهمَّشين** وهذه الأخرى كانت عبارة عن رواية فلسفيّة بامتياز فلم تخدم موضوعي، أما الرِّوايات المتبقيّة _ حسب علمي_ كان المهمّش فيها مجرد شخصية ثانويّة ليس إلَّا كأمثال: روايات **طاهر وطار، واسيني الأعرج، رشيد بوجدرة، كاتب ياسين، محمد ديب(...)** إلخ. إذ أنَّ الرّوايات الجزائرية النِّسويّة يمكن اعتبارها جميعًا تتمحور حول تهميش المرأة، والمطالبة بحقوقها ومكانتها في المجتمع الذّكوري.

ولهذا قرَّرنا العمل على الرِّواية التّي دلَّتنا عليها مشرفتنا الفاضلة الأستاذة **راوية شاوي** وهي رواية **كاماراد رفيق الحيف والضياع** للرِّوائي الجزائري **الصّديق حاج أحمد** المعروف ب**الزِّيواني،** وهي رواية رائعة جديرة بالقراءة المتأنِّيّة والدِّراسة المعمقة ؛ تعالج قضية الهجرة غير الشّرعيّة للأفارقة وهي الرّواية الوحيد _ حسب علمي _ التّي استحضرت هوية القارة السّمراء، وهي صورة للرّجل الإفريقي منصهرة في خيال من نسيج المبدع. تتكوَّن رواية

كاماراد من (363) صفحة مقسمة إلى عناوين متجلّيّة على التّوالي : (**Gيثار الصّدفة، في القبر، البعث، النفخ في الصور، المحشر، على الصّراط، عينْ قَزّامْ (مرسيليا ليكاماراڈْ)، تَمَنْراستْ (باريس ليكاماراڈْ)، هامش مدن الضواحي ..(الغربة والتّيه)، هامش مدن الضواحي ..(الحيف والضّياع)، عباءة الياسوع، (أدْرارْ) روما ليكاماراڈْ، رهاب طقس الشّمال، ماتبقى من حيف الطريق، حتى سدرة المنتهى، فردوس الجنوب المنتظر)**. نلحظ أنَّ هذه العناوين بعضها مستوحى من أهوال القيامة والموت، وقد جاءت دالة على الأهوال التّي يمر بها المهاجر الإفريقي أثناء رحلته إلى الفردوس، وبعضها الآخر دال على أماكن تواجد ليكاماراد في الجزائر، ومحطات العبور إلى الضِّفة الأخرى للظّفر بالجنَّة المنتظرة .

استلهم الزّيواني تقنية التّصدير ليهيئالقارئ للاندماج في عوالم الرِّواية، وقد جاء في الرّواية على شاكلتين :

- الأولى: عبارة عن جزء من **أغنية الحرّاقة*** لمغني الراي **الشّاب خالد. المستقبل مسدودْ...**

ما أبْقى من الدّوقْ حتّى بنّة ..

الحوت ولّا الدودْ .. !!

- والثّانيّة: عبارة عن رسالة من مهاجر إفريقي غريق تناقلتها وسائط التّواصل الاجتماعي؛ ومضمون هذه الرِّسالة صورة لمأساة كل إفريقي مهاجر .

---

* الحراقة : وتنطق القاف بحرف (G)، وهو مصطلح جزائري يعني المهاجر غير الشّرعي .

أما مضمون الرّواية، فيمكن تلخيصه من خلال تقديمها من طرف النّاقد الجزائري **السّعيد بوطاجين** بقوله: **(إنها رحلة البحث عن الذّات هربا منها أو محاولة القبض على مستقبل كقوس قزح .. قريب ومستحيل. هجرة من بلدان لا توفر لأبنائها سوى الخراب والكذب والحطام والموت. رحلة إلى آفاق تصبح فيها الشّخصيّة ضائعة كغيمة الصّيف.. لا هي إلى البرّ ولا هي إلى البحر. كحال من لا يملك موطنا، يحمل مواصفات الأوطان..ذلك تماما ما ركزّت عليه الرّواية في التّعامل مع موضوع الهجرة غير الشّرعيّة، بمعرفة كبيرة وبوعي يستحقّ التّثمين، من حيث إنها أحاطت بالعلّة والتّفاصيل والمسارات والنّتائج.)** .

تنتهي الرّواية بعودة **مامادو** بخيبة أمل إلى حيّه (Gمكْلي) في النِّيجر، إذ أنَّه وبلقائه بالمخرج **جاك بلوز**، وسرد حكاية هجرته له، لمح فيه هذا الأخير مهارة في السّيناريست وحب كبير للكاميرا ؛ لذا شجعه على إخراج فيلم عن الفقر في بلده، بمساعدة منه من خلال إعطائه المال وتعليمه لكواليس الحرفة، وقد كان ذلك، وبعد إتمام **دودو** للفيلم روّج له المخرج من خلال منشور على صفحته الفايسبوكيّة :

«أيّها الشّمال القانط من الجنس الكامارادي الزاحف ..

أيها الجنوب العربي، المتذمّر من عبور شعب ليكاماراڈ ..

لا محل لنا من أخطبوط الهجرة.. إلا بخلق فرص نشاط، تثبّت هؤلاء الأفارقة المتعبين بخيبات الحياة وانكساراتها ببلدانهم ..

لن ولن نوقف هذا التّدفّق المريب، إلّا بفعل ذلك ..

شاب نيجيري واعد .. لاقتني به الصدف، هو يحلم بالشّمال حيث النّعيم والخلاص وأنا أحلم بالجنوب حيث الحرمان والخلاص .. مفارقة غريبة جمعتني به !! (...) .»[1].

[1] – الصديق حاج أحمد : كاماراد رفيق الحيف والضّياع، دار فضاءات، عمان، الأردن، ط1، 2016م، ص 362 .

الهدف من هذه النّهاية التي وضعها الزّيواني هو أنَّ الحلم والجنة والفردوس الحقيقي يجده الفرد في أرض وطنه وسط أهله وشعبه، فثقته بنفسه والعمل على تطوير ذاته هو أساس التّغيير وتقدم الوطن، لا بالفرار منه ومقته .

المبحث الأول : تمظهرات الواقعيّة في رواية كاماراد رفيق الحيف والضّياع للصّديق حاج أحمد .

1. دوافع الواقع المعيش في تفشي ظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة :

يشعر الكائن الإنساني دائمًا بالاحتياج لأشياء معينة لاستمرار حياته، وهذا ما يؤثر سلبًا على سلوكاته اليوميّة ؛ لذا فهو في بحث مستمر لما يوفر له تلك الحاجات حتّى وإن تطلّب الأمر الانتقال من مكان لآخر إذ أنَّ ذلك الانتقال ونتيجة لتطوّرات الحياة طرأت عليه تعقيدات عدّة ؛ لذا إمّا يكون بطريقة قانونيّة أو غير قانونيّة .

ينصُّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في البند 13 منه على : « **حق أي شخص في اختيار مكان إقامته وحريّة التّنقل داخل أي بلد شاء** »[1] كما يؤكد أنَّ : « **لكل شخص الحق في مغادرة أي بلد والعودة لبلده الأصلي** »[2] ولكن هذا طبعًا وفق قوانين منصوصة تُنظم لحماية سيادة الدّول وأمنها عبر الحدود.

تعتبر القارة الإفريقية خاصة دول الجنوب منها أكبر الدول فقرًا في العالم، فهم يعانون من الحرمان في أبسط حقوقهم منها حرية الرّأي، وحرية التّعبير، وغياب مبادىء حقوق الإنسان،واحترامالحريات العامة. فكبت الحريات والضّغوطاتالاجتماعية،والسّياسيّة والدّينيّة، إضافة إلى عدم الشّعور بالأمان هو ما يؤدي بهم للتّفكير الدّائم في الهجرة غير الشّرعيّة

[1] – منصوري رؤوف : الهجرة السّريّة من منظور الأمن الإنساني، مخطوط رسالة ماجستير في القانون العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة سطيف، الجزائر، 2013م، 2014م، ص 11.

[2] – المرجع نفسه : ص 11 .

نحو الشّمال _ فردوسهم المنتظر _ فأي إفريقي يرى أنَّ الهجرة قدرٌ حُتِم عليهم « **هذا قدرنا..كان لا بدّ عليّ أن أقامر كغيري من الرفاق الأفارقة، اِستجداء جنّة الخُلد .. تحت شعار يافطة كبيرة، كُتب عليها (من أجل حياة أفضل ..) !!**»[1]

يتطلّب التّحضير لرحلة الموت الكثير من الوقت إضافة إلى المال الذّي يوفر سواء عن طريق الادخار أو القرض أو بيع الممتلكات _ رغم قلّتها _ وهذا هو حال **مامادو** الذّي بقي يضرب أسداسًا في خماسٍ لطريقة حصوله على المال « **أنا لم يكن لي من سبيل غير إقناع أمي ببيع بقرتنا الحلوب (بَكْتُو)، مع يقيني، أن أمي بسببه،ستنعتني بالجنون(...) سأحسم الموضوع معها، بجملة** "**الله غالب**". »[2]كل ما كانت تمتلكه العائلة هو البقرة وحليبها، إضافة إلى ما يجنيه **مامادو** من بيع أعواد (Gورو) أو أعواد الحلاوة، وهو مبلغ زهيد أو ينعدم أحيانا وهو ما يأكّده **مامادو** في حديثه « **ما أجمعه في كامل اليوم من هذه الحرفة، مبلغ زهيد من الفرنكات على كل حال، تقول أمي، ببلاغتها الفطريّة (إنّه لا يملأ حتى حفرة الضّرس المسوسة !!) كم مرّة عندما يكون المبلغ غاية في القِلّة، أن تُقرِّب وجهها مني وتحشوَ سبابتها اليمنى في فمها وتبين لي عن فمها الخرب، فتكشف لي حفرة ضرسها المسوّسة، هي تفعل هذا كناية عن الشّح** »[3]إذ أنَّ كل هذا ضاع لما فكر **مامادو** بالهجرة ؛ حيث لم يتبقّ للعائلة أي دخل سوى جزء من مبلغ بيع **باكتو** .

صوَّر **الزِّيواني** في الصّفحات الأولى من رواية **كاماراد** الحالة البائسة، والأوضاع المزريّة للعاصمة **نيامي** التّي تفتقد حتى لشروط الحياة البسيطة المتواضعة، فالفقر المدقع والتّخلف متجلي في كل شيء ؛ بداية بمطار عاصمة دولة النّيجر فيصفها المخرج في نفسه بقوله : « **نزل الضيف أرضية المطار على سلّم مجرور !!كان لا يراه إلا من خلال**

[1] - المصدر نفسه : ص 7 .
[2] - المصدر نفسه : ص 70 .
[3] - المصدر نفسه : ص 56 .

أفلام السّبعينيات .. (مطار عاصمة دولة.. مساحته تكاد تكون ركنا صغيرا بمطارات الرّيف الفرنسي) قال في نفسه (...) وصلوا أمام قاعدة الدّخول للمطار (صالة صغيرة أيضا بقدر زاوية من قاعات مطاراتنا ..) تكلم مع نفسه ثانيّة .»[1]إذا كان هذا حال مطار عاصمة، فكيف يمكن تصور حال المنشآت العمرانيّة والخدمات العموميّة الأخرى_ هذا إن وجدت_.

يصوِّر **مامادو** لمخرجه **جاك بلوز** الأوضاع المزريّة التّي يعيش فيها أهل بلدته بقوله : « **في حيّنا القصديري (Gمْكَلي)، الواقع على الضّفة الشّرقيّة الضّاجة من نهر النّيجر، لا توجد لنا نوادٍ أو مقاهٍ شبابية نختلف إليها، لدغدغة أحلامنا وعدّ جغرافيّة بؤسنا (...) بل حتى مطاعمنا في هذه العاصمة العظيمة (...) تجدها على قارعة الطرق وأرصفة المباني الحكوميّة والوزارات،تطبخ للجوعى بالحطب ويجلس زبائنها الكرام، على مجسّمات الأحجار المكعبة وجذوع الأشجار الأسطوانيّة، بدل الكراسي !! »**[2]لا وُجود لمطاعم، ولا لنوادي ومقاهي للتّرفيه ونسيان قسوة قدرهم، الغريب فيالأمر أنَّ هذا حال عاصمة لدولة وليس قرية صغيرة تابعة لمدينة ما. حتى وسائل الاتصال لديهم شبه منعدمة حتى قاعة الإنترنت الموجودة وحسب وصف **مامادو** لها « **لا أستطيع قول مقهى الإنترنت !! لست ساهيا، أبدا. بالله عليكَ سيدي المخرج .. كيف يطلق هذا المكان، اسم "Cyber Café" ؟ مساحته لا تتعدى تسعة أمتار مربعة، أُلقيت في جوفه بشكل غير متناسق، أجهزة كمبيوترية مستعملة قليلة، تكاد حروف وأرقام لوحتها تُمحى**»[3]حتّى وإن وُجد جهاز الكمبيوتر فالشّبكة تكاد تنعدم لضعفها الشّديد ؛ لذا يستغرق الشّخص لإرسال أو تلقي رسالة ما السّاعات، معاناة وتخلف عظيم يعيشه الرجل الأسود في الجنوب الإفريقي، فكل وسائل

[1] – المصدر نفسه : ص 19.

[2] – المصدر نفسه : ص 36 .

[3] – المصدر نفسه : ص 44 .

العيش المتواضع فقط منعدمة، والدّليل على ذلك **مامادو** يذكر أنّ أخته « **تغسل الأواني بالتّراب والماء، لا صابون لدينا ولا هم يحزنون !! استعماله، القليل كان للملابس فقط، لن نعهده إلا خلال السّنين الأخيرة، لا زلتُ أذكر عندما كنتُ صغيرًا، حيث ذهبت مع والدي لجلب الطّين الأبيض، الذّي كنا نغسل به ملابسنا، من مغارة طينيّة خارج الحي جهة الغروب** »[1]ظروفهم قاسيّة للغاية، فقر مدقع، حياة خالية من معناها، من قيمة الإنسان الذّي لا يقوى حتّى على إعالة نفسِه ناهيك عن عائلة كاملة. فكيف لفرد فتح عينيه على هذا الوضع أن يتقدم، ويكون فردًا مبدعًا طموحًا في مستقبله. أحلامهم بسيطة للغايّة « (...) **لا تعدو أن تكون ؛ سداد الدّيون أولا، بناء بيت متواضع.. مُسقّف بالزّنك بدل أعواد شجر العِضاه (الطَّلح والأكاسيا) شراء دراجة ناريّة (YAMAHA) أجد في ركوبها، وصولا سريعا للمدينة المجاورة، اِبتغاء فتح بوتيكة صغيرة بسوقها الشعبي** »[2]هذه أكبر أحلام وطموحات أي فرد من أفراد المجتمع الإفريقي فكيف لا وهو لا يجد حتى قوت يومه، ومكانًا بسيطًا يأوي إليه،ولا مكانًا يرفه فيه عن نفسه،ولا مستشفى يشفيه منعلل جسمه الممصوص .

يعتبر اللاأمن الاقتصادي، والغذائي، والصّحي، أكبر وأهم الأسباب التّي تدفع إلى التّفكير في الهجرة السّريّة ؛ فالمجاعة والأمراض والأوبئة والفقر وقلّة فرص العمل وكثرة عدد السّكان والبطالة، توجد في دول جنوب إفريقيا بنسب خياليّة. فحالة الفقير في دول الشّمال لا يمكن مقارنتها بتاتًا بحالة الفقير في الجنوب الإفريقي ؛ وذلك لوجود فوارق جمّة على جميع المستويات، والطّريف في الأمر أنّ المخزون الطبيعي، والثّروات الطّبيعيّة التّي تتمتع بها الدّول الإفريقيّة لا تتمتع بها دول الشّمال ؛ والمقصود بذلك وجود أجود وأغلى المعادن مثل : اليّورانيوم،والذّهب، وخاصة الألماس.إضافة لغناهابالثّروات الطّبيعيّة كالمانغاوالأناناس، والكاوكاو، والبن(...)، وغيرها من الثروات التي يمكن من خلالها إنتاج كم إقتصادي هائل

[1] – المصدر نفسه : ص 55.

[2] – المصدر نفسه : ص 7 .

ينافس الدّول الأخرى ويطوِّر البلاد ويخرجها من الوضع المزري الذّي يعيشه أفرادها، إذ أنَّه في هذه الدّول استعماله يكون بالسّلب فهو أساس النِّزاع والحروب والانقلابات، وبذلك عدم الاستقرار السّياسي، عانت شعوب تلك الدّول سنوات وقرون من الظّلم، واضطهاد السّلطة. تؤدي الصّراعات السّياسيّة، ونظم الحكم الجائرة إلى هروب نسب كبيرة من المواطنين إلى الدّول المجاورة الأكثر ديمقراطية أو التّي يشيع فيها الهدوء والسّلام. « **الحروب الدّوليّة والحروب الأهليّة تأتي على رأس قائمة الدّوافع السّياسيّة التي تؤدي إلى الهجرة إلى بلد آخر حيث الأمن والاستقرار ؛ فإذا لم يفتح هذا البلد حدوده لهؤلاء المنكوبين الفارين من جحيم الحروب بطريقة مشروعة فلا خيار أمامهم سوى الهجرة غير المشروعة مهما كانت العواقب** »[1]فهم قد وجدوا أنفسهم داخل دوامة من الصّراعات المتسلسلة التي ما تنفك تنتهي تبدأ من جديد. سمع **مامادو** العديد من القصص من المهاجرين الذّين كانوا معه على متن الشّاحنة في الصّحراء الكبرى وقد كانوا من جنسيّات مختلفة « **قبل عامين، كنّا صباحا بمدرستنا الثّانويّة بمدينتنا "ياسْ" عندما سمعنا دوي انفجارات قويّة ومرعبة، دون أن نجمع أدواتنا أو يأمرنا الأستاذ بالخروج ؛ حتى هو سبقنا بالهروب والله!! أصابني هلع شديد،فقدت رشدي بعدها، خرجنا مشتتين للشارع العام .. خوف شديد بين الأهالي، دويّ الانفجارات في كل مكان !! غاب عنِّي طريق البيت، وجدتُ نفسي أجري أجري.. لحقا بمن كانوا يتسابقون أمامي .. كانت القنابل خلفنا تزداد قُربا !! قطعنا مسافة كبيرة دون أن نشعر بالعياء أو نحسّ بالجوع، مدّة يوم كامل ونحن نجري دون أن ننتبه..**»[2]شعب مقهور منذ ولادته، ينمو وهو حامل لبذرة الظّلموالقهر والطّبقيّة، حتّى يصل لدرجة أنّه لا يعطي أي اعتبار لقيمته كإنسان،لا يرى بينه وبين الميِّت فرق. فمن جراء هذه الحروب

[1] – واثق عبد الكريم حمود : موقف الاتحاد الأوروبي من ظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة (الإفريقيّة)، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، جامعة تكريت، العراق، (د ع)، (لا ت)، ص 359 .

[2] – المصدر نفسه : ص 141 .

يتشتَّت ويتفرَّق مئات وآلاف العائلات، ويُقتل العديد منهم كذلك مثل ما سرد آخر لِ**مامادو**« **عشنا حربين أهليتين !! أتتا على الأخضر واليابس، الأولى يا رفيقي انطلقت سنة 1989، استمرّت حتى 1996م، راح ضحيتها زهاء "25000" شخص، شُرد أكثر من "70000" شخص كذلك، هاجم فيها " تايْلورْ" على العاصمة مونروفيا وأطاح بنظام " صموئيل دو**" »[1]رقم ثقيل جدًا، عانت تلك الشعوب الكثير جراء تلك الحروب لا سيما آثارها من التّهجير القصري والنّزوح نحو دول الجوار. هذا واقع مر عاشته وما زالت تعيشه دول ساحل الصّحراء، فرغم القصر المادي وبذلك المعنوي ضف إليه الحروب، والانقلابات، والإرهاب، فبسبب كل الظّروف المتقلبة أصبحت تلك المناطق من أخطرها في العالم ؛ لأنّها تحولت مهد الجماعات الإرهابيّة، ويواصل المهاجر الهارب من الحرب سرد حكايته لِ**مامادو** فيقول : « **أما الحرب الأهلية الثّانيّة يا رفيقي ..فقد بدأت بعد ثلاث سنوات من إعلان وقف إطلاق النار الأولى، أي سنة 1999، بعدما قامت مظاهرات ثائرة ضد نظام المركز، بمباركة منالجارة الشَّمالية غينيا، حيث استمرّت هذه الحرب الملعونة حتى سنة 2003، لتطيح أخيرا بنظام الدّكتاتوري " تايلور"، يفرُّ بعدها هذا الأخير بلحمه مع ما خفَّ وزنه وغلا ثمنه منالألماس والذّهب،(...)،راح ضحية هذه الحرب القذرة،أزيد من"400000" شخص وتشريد أكثر من "800000" شخص آخر »[2] .**

جُور الحكام وقمعهم هو أساس محنة دول جنوب إفريقيا. فأغنياء تلك الدّول تنعدم لديهم الإنسانيّة،لا يعرفون للرَّحمة مكانًا، فلو صلح حكامها لما كان شعبها في تلك الحالة. فالدّولة هي التّي تحتوي شعبها، وتؤمن لهم الأمن والسّلام والصّحة والغذاء.

[1] – المصدر نفسه : ص 133 .

[2] – المصدر نفسه : ص 133 .

لا شيء يجمع بين أغنياء وفقراء تلك الدّول سوى منظر القمامة والهواء الملوّث على حد قول **مامادو،** فهي سمة بارزة لديهم « **كانت مناظر القمامة والأوساخ على الأرصفة من أبرز الأشياء التّي تستقبل بها المولاة (نيامي) زائريها** »[1]فأي زائر لمدينة من مدن الجنوب الإفريقي كل ما يمكنه أن تصوره عيناه هي « **الحالة العامة للحي، بيوت طينيّة بائسة،مغطاة بأعواد الكرنك، الأوساخ والقمامة في كل مكان دون استثناء..أطفال نصف عراة،نساء ضامرات، شيوخ خصاص،أشياء لا تخطرعلى البال** »[2]كل شيء يوحي بالبؤس والفقر والحاجة والحرمان ؛ لذا فمن المستحيل أن يتخيّل أو يتحمّل العيش في هذه الأوضاع إنسان من ذوي البشرة البيضاء الذي يمقت الرجل الأسود .

أكثر ما زاد على الحال همًا هو الأمراض الخطيرة التّي يعاني منها شعب القارة السّمراء إذ أنَّ « **الحق في الصّحة هو من الحقوق الأساسيّة التي تعترف بها الّشرعيّة الدّوليّة لحقوق الإنسان وتحميها** »[3]إلا أنّ الرجل الأسود الإفريقي محروم منها، فهو لا يتمتع بأي حق من حقوق الإنسان،لا حق الغذاء،ولا حق الصحة، ولا حق الأمن، ولا حق الإنتقال !!. فكيف لهم أن لا يفكروا في الهجرة إلى البلد التّي يسمعون أنّ الإنسان هناك يعتبر إنسانًا، والبلد هناك بلد وليس فتات أو بقايا بلد، فكيف تسمى بلد و**مامادو** يذكر : « **(عاصمتنا . عزاها الله . لا يوجد بها قنوات الصّرف الصحيّ، هل رأيتَ سيّدي عاصمة بلا صرف صحي ؛ صدِّق أو لا تصدِّق، هذا لا يهمني ؛ هي الحقيقة بلا مساحيق تجميليّة أو عطور باريسيّة كما عندكم ..)** »[4]فهذا هو ما يفسر ظهور تلك الأمراض الغريبة والخطيرة التي تفتك بأجسامهم الممصوصة مثل : الكوليرا، المالاريا، الإيبولا (...) إلخ.

---

[1] – المصدر نفسه : ص 20 .

[2] – المصدر نفسه : ص 23 .

[3] – منصوري رؤوف : الهجرة السّريّة من منظور الأمن الإنساني، مرجع سابق، ص 87 .

[4] – المصدر نفسه : ص 54 .

تتعايش القمامة والتّلوث مع الرجل الإفريقي كأنها فرد من أفراد العائلة. وبسبب الموقع الجغرافي لدول ساحل الصّحراء مثل: دولة مالي، والنيجرلا تطل على البحر، أي ليس لديهم مكان لرمي النفايات ؛ لذا فيُكلف نقلها عبر دول الجوار للبحر المتوسط أو المحيط مبالغ باهضة تُأخذ من خزينة الدّولة ما يزيد على عاتق الشّعب ثقلًا .

ما أجبر **مامادو** ورفاقه للتّفكير بالهجرة السّريّة هي حالتهم وحالة أسرهم الضنكة، فمامادو يُقِرُّ أنّه دون وعي منهم تغلغلت الفكرة في رؤوسهم « **دون أن نشعر . نحن الرفاق الأربعة . وجدنا أنفسنا نناقش سُبل الخلاص من واقعنا المسدود..لقد أضحت أخبار الهجرة نحو الألدورادو ..هي أكبر شجننا، حتى انتابتنا حالة من الهوس الهستيري بجمع الأخبار الإعلامية .. عن رحلة مسار صحراء التّهريب، المليئة بأخبار الموت والتيه وحيل اجتياز الحدود بلا جواز أو تأشيرة، فضلًا عنالتاريخ العريق لسقوط الموتى والكسرى من أعلى السِّياج الشّاهق، ناهيك عن الرقم الثقيل للغرقى في عرض البحر وسماع قعقعة خشب القوارب أثناء ذلك الغرق، لا أراك الله سيّدي المخرج .**»[1]بعد أن قررالرِّفاق الهجرة كان محفزهم الأكبرعلى ذلك القرب الجغرافي لأوروبا بحيث « **لا تتجاوز المسافة بين شمال إفريقيا (المغرب مثلًا) وأوربا العشرين كلم، ويمكن رؤية الشّاطئ الأوروبي من طنجة** »[2]فقصر المسافة بين أوربا والمغرب الأقصى والجزائر،وتونس ماجعلهم الوجهة الأولى والوحيدة للمهاجرين غير الشّرعيين الأفارقة للتّسلل والعبور لفردوسهم المنشود، وقد سُميّ المهاجرون غير الشّرعيين ب**الحراقة** لأنهم وبمجرد دخولهم إلى أوربا أو أي بلد آخر يقومون بإحراق أوراق هويتهم أملًا في حياة جديدة مع هوية جديدة في الدّول المقصد. أما الأفارقة في الجزائر فبمجرد وصولهم لأرض الجزائر يصبح يسمون ب**ليكاماراد** .

---

[1] – المصدر نفسه : ص 45.

[2] – واثق عبد الكريم حمود : موقف الاتحاد الأوربي من ظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة (الإفريقيّة)، مرجع سابق، ص 359 .

2 . التّحديات والمخاطر التّي يعانيها المهاجر الإفريقي :

بمجرد التّفكير في الهجرة يعمل الرّجل الإفريقي على تقصي أخبار الهجرة؛ إما من خلال شخص عاد من المهجر،أو عن طريق الشّبكة العنكبوتيّة، أو الهاتف النّقال، وهم يهاجرون في مجموعات يترأّسها فرد حذق، وفطن،وعارف أو كما وصفه **مامادو** « **أن يكون الرّفيق الكامارادي عرف دروب الهجرة وهوامشها .. أي :**

دخل القبر وعاشَ البرزخ فيه ..

جاءَه البعث ..

شاهد النّفخ في الصّور ..

حضَر المحشر ..

مرَّ على الصّراط ..

زارَ مدن الأحلام ..

خالط هامش مدن الضّواحي كثيرًا ..

وأخيرًا حضَر الرّجة الكبرى .. » [1].

فمن يقود المجموعة الكاماراديّة هو المسؤول عن التّفاوض مع المهربين، وتجار البشر،وغالبًا يكون قد قام بالهجرة عدة مرات ؛ لذا يكون قد علم خباياها وأخطارها وهوامشها. يعاني المهاجر الإفريقي العديد من الأخطار والتّحديات التّي يمر بها أثناء رحلته،وهذا ليس بالغريب عليه،لأنه قبل المُضي في الرّحلة يكون على علم بما ينتظره من مصاعب وأهوال وهذا ما يؤكده **دودو** بقوله : « **عرفنا أنَّ هناك خيارات صعبة لا محيص منها: الأول منها؛ المغامرة مع سماسرة تهريب البشرعلى الصّراط. لقطع الصّحراء الكبرى وصولا للجارة الشّماليّة.. مع ما يتشرّط فيه هؤلاء. من أثمان باهضة بلا شفقة،على السّلعة البشريّة**

[1] – المصدر نفسه : ص 29 .

المهرَّبة !!. ثانيها؛ قطع مساحة هذه الأخيرة طولا مع شقيقتها الغربيّة عرضا، بالحافلات والمشي على الأقدام، أثناء التّسلّل بين حدودهما، بعيدا عن عيون حرّاس الحدود وهذا لا يخيفنا أو يعيقنا »[1]كل هذا إضافة إلى « **المجازفة مع مافيا، قوارب الموت.. من جنوب ضفة المتوسط نحو إيطاليا، مالطا، إسبانيا أو غيرها من شواطئ القارة الشّقراء وليست العجوز، كما يزعم من يطلقون عليهم ب (طاما) أهل البَرازيْطْ .. رابعا ؛ أخاله الأهونَ عندنا، المتمثل في تحيّن الفرصة المناسبة، كأعياد الميلاد مثل.. التّي يكون الحراس فيها ثملى.. وبالتّالي اجتياز السَّياج الآخذ في العلو،بمدينتي سَبْتَة أو مليلْيَة،إن كان هذا الأخير،لن تسلم منه دون كسر، جرح عميق أو كدمات في أحسن الأحوال** »[2]فالمصاعب التّي تنتظرهم صعبة للغايّة إلّا أنّهم يصرون على الهجرة لأنَّ ما يعانونه في ديارهم أسوء بكثير .

يحضر المهاجرون أنفسهم قبل الهجرة سواء من خلال اللِّباس والمال وكذلك تحضير جوازات السّفر المزوّرة، وأكثر ما يؤلمهم قبل الرّحيل هو وداع الأهل والأحبة فلها وقع خاص عليهم، وهذا ما لاحظه **مامادو** على رفاقه « **كان الوجوم باديًا على الرّفيقين عُسْمانو وغاريْكو، مقداره يتلبّسنا أيضا نحن الرّاحلين.. ليس من السّهولة نسيان عِشرة سنوات، تقاسمنا فيها الفقر، الشّقاء، المناظر العفنة، الهواء الملوّث، تقديد البعوض لأجسامنا الممصوصة أصلا** »[3]كان وداع **مامادو** ورفاقه لعائلاتهم صعبًا للغاية، بعدما اشترى **دودو** لأمه وأخته هاتفًا نقالًا . لم يروه قبلًا . وبعدما دلَّهم على كيفية استعماله، ودَّعهم وهو كابتٌ في نفسه قهره وحزنه الشّديد لواقعه المر الذي أجبره على مفارقة أحبته .

[1] – المصدر نفسه : ص 45.

[2] – المصدر نفسه : ص 46 .

[3] – المصدر نفسه : ص 99 .

يبدأ **الزّيواني** من الصفحة (107) بسرد مسار الرحلة على لسان **مامادو**، ومعها تبدأ هوامش الرِّحلة السِّريّة للأفارقة بالظّهورتلكالهجرة غير القانونيّة المليئة بالمفاجآت والمصاعب، بداية بالتّفتيش المتكرِّر من طرف الشّرطة ودرك الحدود. إضافة إلى مساومات سماسرة التّهريب وتجارالبشر ومن بين حالات التّفتيش ما ذكره **مامادو**« **صعد الحافلةجندي يلبس بذلة عسكريّة، يضع قبعة مائلة على رأسه، لم يهتم بالشّيوخ، الأطفال، النّساء، كان همّه واضحا، أن يتصيد شابا كامارايديا بلا وثائق هوية أو جواز سفر بلا تأشيرة، ليتعشى برشوته مع رفاقه .. تأكدتُ على مسار الطريق، أن الجنود عبر الطّريق، يدعون الله سرا وجهرا، أن يجدوا من لا وثائق له من ريفاقنا ليكاماراد، لا سيما من (بوركينافاسو)، (السِنGال)، (كوت دي Vوار)،(سيراليون)،(ليبيريا)، (الكاميرون) (الكونGو) وغيرهم** »[1]هذا هو الواقع فالمهاجرون يضطرون لدفع رشوة في كل خطوة يخطونها للتّقدم نحو الشّمال حتّى رجال الأمن لم يسلموا منهم، فيساومونهم ؛ إمَّا بالدّفع أو الرّجوع إلى بلدهم، وفي أغلب الأوقات يدفع المهاجر كل مايملك المهم عنده التّقدم نحوالأمام، وعدم الرّجوع بخيبة أمل مهما كلَّف الأمر.

كان يرى **دودو** في كل محطة يصل إليها البؤس والفقر ملتصق بشعبه « **جاء أطفال للمحطة،أسمالهم بالية، وجوههم شقيّة،يطوفون بحفنات من التّمرالتّواتي الأحمر اليابس، اشترى كا واحد منا حفنة يد من تمر (تِلَّمْسو) الأحمر الغامق، هذا النّوع سيدي المخرج .. هو تمر البؤساء في النّيجر ومالي ؛ كونه رخيص** »[2]الحاجة الملحّة والضّعف والقلّة هيالتي تدفع بالأهل لتشغيل أبنائهم رغم صغرهم ؛ سواء في التّوسل أو بيع مواد بسيطة. فكيف لطفل تربى فيالشّارع يترجى المارة ويختلط في مشاكلهم والفوضى، ودخولهفي الحياة

[1] – المصدر نفسه : 108 .

[2] – المصدر نفسه : ص 110.

العمليّة قبل أوانه بكثير، أن يكون فردًا صالحًا مساهمًا في ازدهار وطنه ؟. فعمالة الأطفال أكبر الأخطار التّي يجب على الدّولة مكافحتها، وإيجاد حلول سريعة للقضاء عليها.

كان الانتقال من مكان لآخر أثناء فترة الرِّحلة بواسطة سيارات رباعيّة الدّفع أو الشّاحنات، وبطبيعة الحال بما أنّها رحلة غير قانونيّة فهي من اختصاص تجار البّشر،وهذا لا يكون بالأمرالسّهل، فالحصول على واحدة منهم يكون بعد مفاوضات وانتظار لساعات وحتّى لأيام وأسابيع وهو ما حدث ل**مامادو** ومن معه في الصّحراء « **قضينا يومين في العراء نتصهّد نهارا ونُبلى ليلا.. ننتظر سيارة أو شاحنة تقلنا لمدينة أرْليثْ وهناك لنا حكاية أخرى !! حتى جاء صباح اليوم الموالي. قَدِمت فيه شاحنة حمراء داكنة محمّلة بالأغنام، نوع (Man) الألمانية، تحمل ترقيما جزائريا،(...)، مرَّ اليوم الثّالث، الشّاحنة لم تقلع، فهمنا أن صاحبها يريد شحنة أخرى من البشر،تنضاف إلينا، تعدادنا يربو عن العشرة ولا يصل العشرين، كلّ هذا الخلق .. وأهلها يتوسّمون الزّيادة** »[1]سبب الهجرة غير الشّرعيّة من الأصل هم تجارالبشر، فهم أُناس لا رحمة في قلوبهم مصلحتهم فوق كل شيء يسري الطّمع والجشع في دمائهم، لا يرأفون بحال الضّعفاء يستغلون حالة فقرهم وحاجتهم الملحّة للهجرة لتغيير وضعهم، ورغم هذا لا يتوقف الأفارقة عن التّعامل معهم، فهم يصبرون لأيام عديدة يبقون فيها على ظهر الشّاحنات ليلًا نهارًا فوق بعضهم البعض أكوامًا أكوامًا رغم حرِّ شمس الصّحراء وبرد ليلها ضف إلى ذلك رائحة المواشي والأبقار التّي تكون معهم زيادة على عددهم الكبير وكما سرد **مامادو** لمخرجه **جاك بلوز** بقوله :« **كنا ننام على أكل يسير ونقضي الليل مع مَعْمَعَةِ الأغنام وقرص البعوض، الذي لا يزال يتعقّبنا حتى غاية هذا المكان ..أما القمامة والتلوث، فهنا مهدها ولن أزيد كلمة أخرى سيدي المخرج** »[2].

[1] – المصدر نفسه : ص 115.

[2] – المصدر نفسه : ص 115.

من هوامش الصّحراء الإفريقيّة كذلك خبايا بيع البنزين والمازوت الجزائري المهرّب، وذلك من خلال قارورات وخزانات صغيرة، فالتهريب منتشرٌ كثيرًا في الصّحراء خاصة الحدود الجزائريّة الجنوبيّة،كل هذا يزعزع الاقتصاد الجزائري ؛ لاختراق قوانين تصريفه .

كانت أول مدينة يلجأ إليها **مامادو** في أرض الجزائر هي مدينة **عين قَزّام** الحدوديّة، وقد حصل لهم أثناء الطّريق مفاجآت عدَّة كانت ستُأدي بهم إلى التّهلكة خاصة حادثة تعطل الشّاحنة في الصّحراء التّي رواها **دودو** بكل تفاصيلها « **قضينا يومين، نتقصد في الماء ونتقشّف في الزّاد القليل، أصبحنا على شفير الموت !! في مثل هذه الحالات .. كلّما مرّت السّاعة يزداد معها القلق ورهاب الموت !! (...) في اليوم الثّالث من محنتنا، نفذت المؤونة ونفذ معها الماء .. أصبحنا على حافة الموت حقا .. أمرنا بعدها السّائق بشرب بولنا !! فعل البعض ذلك** »[1]واقع مر لا يخطر على بال، معاناة كبيرة، قهرأعظم حياة بائسة بكل معنى الكلمة يعيشها المهاجر للوصول إلى الجزائر وما بعدها، والأمرُّ من هذا أنّهم بوصولهم إلى البلد المَقصد ينبذون ويهمشون أكثر ؛ سواء من خلال نظرات الازدراء أو الأفعال المستفزة أو حتّى الطّرد المباشر.إلّا أنَّ **مامادو** وبفضل تعويذة أمه التّي أوصته بها، ومباركة يوم الجمعة له، فقد كان يخرج من أي مأزق بمجرد مصادفته له « **يوم الجمعة هو يوم السّعد عندي ..فيه سهّل الله لي بيع بقرتنا "بكتُو" وفيه اكتمل نصاب الشّاحنة التّي أقلعت بنا من مدينة "أGادز" وهاهو ينقذنا من الموت** [2]»يذكر **مامادو** فضل يوم الجمعة المبارك في كل مشكلة يخرج منها تصادفه كما نجده في الصّفحات (116، 148، 251، 286 ...) من الرّواية .

كل بقعة من الجزائر يصل إليها ليكاماراد هي حلم بالنّسبة إليهم؛ لذا**عين قزّام** يدعونها بِ**مرسيليا ليكاماراد**، و**طاما** هي **باريس ليكاماراد**،و**أدرار** هي **روما ليكاماراد**،«**(ها نحن في**

[1] - المصدر نفسه : ص 146 .
[2] - المصدر نفسه : ص 148 .

باريس ليكاماراد يارفاق.. حلم كل إفريقي كامارادي مهاجر) قال لنا أليكس »[1] بسبب الاختلاف الكبير في مستوى التّطور المتجلي في المنشآت العمرانيّة، والنّظافة، والصّحة، ووسائل التّرفيه، وخاصة وجود فرص العمل (...) ؛ لذا فهم يرون في كل واحدة منهم الجنّة التّي يفتقدونها والتّي يتمنونها،إضافة أنّهم بوجودهم فيها ومن خلال اشتغالهم في ورشات البناء يكسبون المال الوفير، في حين يعزف شباب البلد عن العمل في تلك الورشات .

3 . البيئات المتقوقعة على هامش المدن :

مرَّ **مامادو** ومن معه في هجرتهم نحو أوربا بالعديد من الأماكن، وهذا ما دفعهم للمكوث في عدَّة مخيمات، وأحياء قصديريّة هامشيّة خاصة بليكاماراد في الجزائر، والمغرب الأقصى كذلك. وبسبب طول مكوثه في هذه الأماكن المنسيّة تعرّفعلى مختلف هوامش تلك الأحياء، التي يستخدمها البعض كإقامة مؤقتة. في حين يعتبرها البعض الآخر . وهم كثر . كإقامة دائمة في غربتهم « **تقدم المفوضية العليا للاجئين رقما بخصوص المهاجرين غير الشّرعيين من جنسيات إفريقيّة يقدر ب(21500) لاجئ،وأن 40 % من هؤلاء يعتبرون الجزائر مقصدهم النّهائي،في حين يعتبر40 % آخرون أنّهم مجرد عابرين نحو مقصدهم أوربا،أما نسبة 20 % المتبقيّة فتخص المواقف المتنوّعة أغلبها ممن لا يملكون الوسائل للعودة لبلدانهم** »[2]فالهجرة إلى أوربا يقوم بها الشّباب، إلّا أن البعض من العائلات يغامرون فيكون مصيرهم الهلاك، أمَّا صنف الشّيوخ والنِّساء والأطفال فلم يعرفوا الهجرة ولا هي من أحلامهم على حد قول **مامادو** ؛ لأنّ الأمر شاق على الشّباب فما بالك بكبار السِّن

---

[1] – المصدر نفسه : ص 179 .

[2] – ينظر : عبد القادر خليفة : مهاجرو دول السّاحل في مدن الصّحراء الجزائريّة، من مسار عبور إلى فضاء استقرار (مدينة ورقلة– الجزائر)، مجلة إنسانيات، الع : 69، 70، 2019/10/30م، https://journals.openedition.org/insaniyat/15258، اطلع عليه : 2019/05/04م، الساعة : 15:53 .

والقاصرين ؛ لذا يقول **مامادو** « **غاية الحلم عند البعض من رفاق بلدنا،أن يصل للجارة الشّماليّة ويفترش حصيرا صغيرا، يبيع النّظارات الشّمسيّة،بعضالعطور والرّوائح الرّخيصة، مع بعض الدّهون والعاقاقير المحليّة،يعود بعدها لبلده..أو يعمل في الأعمال الشّاقة بورشات البناءوحفر الخنادق عنالك، ليوفر المال،ليرجع بعدها لناسه** »[1]يقومون في فترة مكوثهم بالجزائر باكتراء بيوترخيصة ـ نادرًا ـ أو ينصبون أعوادًا كقراهم نواحي المدن،ثم ينطلقون بعدها للشّوارع بِطاسات صغيرة يتسوّلون ويترجون المارة خاصة في الأسواق والطّرقات والمساجد. أمَّا الشّباب القادر على العمل الشّاق فيمتهن الأعمال الأخرى.

بمجرد وصول **مامادو**إلى تلك المناطق كأدرار مثلا رأى مثل هذه الظّواهر منتشرة بكثرة « **كان هناك خلق غفير من الرّفاق ليكاماراد، يجلسون هناك على قارعتي الطّريق، إنَّه المكان الذي يتجمع فيه ليكاماراد، صار هذا الفضاء الأخير معلوما لتواجد اليدّ العاملة الكامارادية،من لدن المقاولين وطالبي اليد العاملة** »[2]صارت تلك الأماكن معلومة في مدن الصّحراء الجزائريّة؛ فأي مقاول صغير أو خاص بحاجة لعمال البناء في الورشات أو في السّكنات الخاصة، يلجأ إلى تلك الأمكنة التّي يتنافس فيها الكاماراديون. والحقيقة أنَّ لهم دور فعال في تطور الاقتصاد المحلي في مدن الصّحراء الجزائريّة،لإقبالهم الكبير على أي عمل يُطلَب منهم، والفرد الجزائري يوظِّفهم من جهة لأنّه بحاجة إليهم، ومن جهة أخرى لإشفاقه على وضعهم، وحاجتهم الملحّة للمال، فهو لطيف في معاملته معه ـ أغلبهم ـ وهو ما صرَّح به **مامادو** بقوله : « **كنا كلّما قطعنا شارع أو عبرنا ساحة، نسأل أحد هؤلاء المذكورين عن حي(الشَّاطو)، يرشدنا هذا الأخير بكل سعادة. لم يحدث أبدًا سيِّدي المخرج .. أن سألنا أحدهم وعبس في وجهنا أو أظهر شيئا من القنوط حيالنا..حتّى قال لي ساكو (النّاس هنا يسعدون ببعضهم ..) يا الله .. حقا إنَّها باريس ليكاماراد**

[1] – المصدر نفسه : ص 121 .

[2] – المصدر نفسه : ص 211 .

»[1]فالمعروف عن الشّعب الجزائري الصّحراوي أنَّه لطيف، ومحب للغريب، ومُكرِم له بطبيعته، فما بالك بالمهاجرالمشرَّد في أرضه. فالشّعب الجزائري من أكبر الشّعوب تعايشًا مع اللّاجئين، والنّازحين، والمهاجرين، والأعداد الهائلة للأفارقة والسّوريين الموجودين فيها حاليًا أكبر دليل على ذلك ؛ لذا يصرح **دودو** مرة أخرى عن تعايشها مع الغير بقوله : « **ليس مخطئا من سمي "طاما" محافظة الخمسين جنسيّة، لا تبدو كامارايا غريبا هنا.. كما لا تخشى على نفسك من أي شيء، كأنّك في باماكو نيامي،(وادوGو)، أبيدجان أو غيرها من بلدان ليكاماراد جنوب الصّحراء** »[2]نتيجة الرّاحة والأمان والطّمأنينة التّي يحياه ليكاماراد في الجزائر؛ لذا فهم يحسون أنفسهم وكأنّهم ببلادهم، ولكن هذا لا ينفي نفور البعض منهم، وخلق العديد من المشاكل معهم لعدم قدرتهم علىالتّعايش معهم وتقبلهم بينهم، وذلك خوفا منهم ومن انتقال أمراضهم لهم، وتلك المناوشات التّي تحصل في أغلب الأوقات الرجل الأسود يتحاشاها خوفا من ترحيله إلى بلاده « **بعض وسائل الإعلام، خاصة المكتوبة منها. تبنّت خطاب تهويل بخصوص هؤلاء المهاجرين في كتابات تحذير من الجنوح والجريمة وتنقل الأوبئة،أوصاف تبنتها الكثير من الصّحف والجرائد لوصف ظاهرة مهاجري ساحل الصّحراء معتبرة أنهذا هو موقف المجتمع المحليمنالمهاجرين**»[3]أكبر الأسباب التّي تؤدي إلى نفور مهاجري إفريقيا هم وسائل الإعلام التّي تخط يوميًا العديد من الشّائعات فوصفتهم بأنّهمإرهابيين،وتجارمخدرات،ومجرمين،وملحدين، وجشعيين، وغيرها من الأوصاف الأخرى المستفزّة التّي تؤدي لكرههم والنّفور منهم.

[1] – المصدر نفسه : ص 193، 194 .

[2] – المصدر نفسه : ص 180 .

[3] – ينظر : عبد القادر خليفة : مهاجرو دول السّاحل في مدن الصّحراء الجزائريّة، من مسار عبور إلى فضاء استقرار (مدينة ورقلة، الجزائر)، مرجع سابق .

لذا انتشرت الأماكن التّي يتمركزون فيها على هامش المدن، وهذه الظّاهرة والكم الهائل للمهاجرين الأفارقة ليست بالجديدة على الشّعب الصّحراوي بل قديمة،وبسبب طول فترة مكوثهم بها سميت بعض الأماكن باسمهم وهذا ما عرفه **مامادو** « **يقولون (إن الوادي المذكور، سُمّي ب "جرجي" نسبة للرّفاق العابرين الأوائل منا (...) بالإضافة لواد آخر، محاذ له يُدعى "مخيّم وَرْدْفُو")** »[1]فالحرية والأمان التّي توفرها الدّولة الجزائريّة لهم، هو ما يؤدي بهم للمكوث أطول قدر ممكن. إلّا أنّ هذه الحرية هي التّي تؤدي بهم للقيام بالعديد من الأعمال الممنوعة في الخفاء .

تعرف تلك البيئات الهامشيّةللعيان بمظهرها الخاص الخارجي الذّي يميزها وهوما لاحظه **مامادو** عند رأيته لها«**ابتعدنا عن وسط المدينة،توغلنا أكثرباتجاه المقصود..الطّريق المعبد يتناقص، الطّرقات غير المعبدة تزداد ومعها تتكاثر القمامة وكل أنواع التّلوّث تكشّفا وضراوة، بالمقابل تقلّ معها الصّورة الحيّة لإنسان المنطقة.. من بعيد يظهر حي الشّاطو، حي قصديري فوضوي، بناياتهطينيّة هشّة قصيرة .. بُنيت بشكل عشوائي،آثار العجلة في إقامتها بادٍ للعيان .. كابلات الكهرباء المجرورة من الأحياء المحاذية، هي الأخرى ترسم في طريقنا إلى هذا الأخير منظر فاتنا والله..** »[2]الطّرقات غير المعبدة البيوت هشة قصديريّة عشوائيّة، القمامة منتشرة في كل مكان،هذا هو حال البيئة المنسيّة التّي تقام بسرعة، ولا يعتنى بها فكل ما يصادفك هناك إضافة إلى تلك المناظر، الوجوه السوداء المتعبة الخالية من السعادة، إلّا أن هناك شيء يشتهر فيه الكامارادیون أو الشّعب الإفريقي بصفة عامة، وهو حبهم للموسيقى والغناء والرّقص، فهم يرفهون ويغتسلون من آلامهم ومقتهم عن طريق الرّقص والغناء يقول **مامادو**« **الرقص هو يسري في عروقنا كالدّم .. لم**

[1] – المصدر نفسه : ص 337 .

[2] – المصدر نفسه : ص 194 .

يخطئ من قال في حقنا (لو تردّى أحدهم . يقصد الإفريقي . من الجبل فسقط، لسقط وهو يرقص .. !! »[1].

بمجرد وصول **دودو** إلى حي الشّاطو، وتعرفه على صاحب الغرفة (كايطا) التّي سيمكثون فيها تناوب هو رفاقه على الاستحمام ويصف **دودو** تلك الحالة المزريّة التّي كان فيها بقوله :« **الآن يكون لنا أكثر من نصف شهر، لم ير جسدنا الماء فيها مطلقًا والله .. لم نغيّر ملابسنا مطلقا، أصبحت كالورق، تصدر أصواتا مُخَشْخَشَة ومزعجة.. الخرائط البيضاء للعرق على الألوان الدّاكنة وما أكثرها.. يشكّل هو الآخر جغرافيا مبكيّة، سراويل الجينز،وحدها التّي شكّلت الاستثناء، في هذا البكاء من الوسخ !! »**[2]ففترة رحلة هجرة **مامادو** ومن معه دامت لأيام طويلة، وقطعوا مسافات أطول منذ خروجهم من **نيامي** لوصولهم ل**طاما .** ما بعدها للمغرب . فحالتهم أصبحت مزريّة، الماء لا يوجد للشرب فما بالك بالاستحمام، فهو يستحمل عدة ظروف قاسية للغايّة .

بدأ **مامادو** يتعايش مع وضعه الرّاهن رويدًا رويدًا ؛ بداية عرف أنَّ من يسكن في الحي هم من جنسيات مختلفة؛ لذا انقسموا لمجموعات حسب الانتماء ؛ هذه الجهة خاصة بأهل النّيجر والأخرى لأهل مالي، وهناك لأهل الكامرون وهكذا.وقد كانوا جميعا يتناوبون على طهي العشاء في قدر واحد، ويصف **دودو** هذا بقوله:« **الأوساخ منتشرة في كل مكان بالمطبخ على الأرض، على الحيطان، قِدر وحيدة يتعاورعليها الرِّفاق، طاب قاعها من النّار.. الكهل الذّي قبلنا، طهي فيها أرزا كذلك، لذلك لم أغسلها مطلقا. بحسب توصيات كايطا ؛ لأنّ بقايا الزّيت المترسِّبة بجوانب القِدر، تخدمنا وتخدم الرّفاق كثيرا في تحضير الوجبة، كان هذا الأمر حتى مع المعكرونة، نادرا ما تأتيك بلا بقايا أرز أو يأتيك الأرز**

[1] – المصدر نفسه : ص 194 .

[2] – المصدر نفسه : ص 198 .

بلا بقايا عجين المعكرونة »[1] دائما الطّعام خالي من أي مكون ؛ كاللحم، الطّعام، التّوابل (...) ؛ لذا فـ**مامادو** إذا ما تناول وجبة دسمة بها لحم وطماطم يحس بسعادة عارمة، وقيمة لا توصف، ويصرِّح في نفسه دائمًا بأنَّها المرة الأولى التّي يتناوله. صورة مدهشة لحياة بائسة وفقر مدقع .

تقع أمور عدَّة داخل البيئات الهامشيّة تفرضها ظروف الحياة المنسيّة المقهورة القانتة على الآخر، وكأنَّها تحاول من خلال تلك التّجاوزات فرض نفسها، وتأكيد وجودها، وأهميتها، وذلك من خلال التّمرد والغطرسة .

نجد في رواية **كاماراد** العديد من قضايا الأحياء الهامشية الكاماراديّة التّي رصدها **الزّيواني** على لسان بطله **مامادو** من نوع الأكل، والمسكن، والآفات المنتشرة مثل : الزّنا، وبيع وتعاطي المخذرات، وتزويرالعملة الصّعبة. فرغم ضعفهم في غربتهم إلَّا أنّهم يقومون بشتّى التّجاوزات، والممنوعات لتوفير المال، ففي حي الشّاطو يسرد **دودو** ما شاهده بقوله : « **سلكنا زقاقا ضيّقا متسخا فيه أعقاب السّجائر وعلبها المرميّة والأكياس الفارغة للمعكرونة والأرز، تنفتح في هذا الزّقاق، أبواب أكواخ حديديّة وخشبيّة مهترئة، تنبعث منها فَوْغَة نتنة، جلست نساء كامارادیات شابات قبالة البعض منها. اجتهدن كثيرا في تبسيط شعرهن الجعد وترطيبه.. أجسادهن شبه عاريّة، نظراتهن إلينا تشي بالحبور.. كذلك التّي ينتشي بها الصياد، الرّوّيّة صيد جديد** »[2] لا يأبه ليكاماراد بنظافة محيطهم ؛ فلا ينزعجون من الأوساخ، ربما لأنّهم تربوا معها في وطنهم، ومن الآفات المنتشرة في هذه البيئات الزِّنا، فبيوت الدّعارة منتشرة كثيرًا، فالنّساء يتحولون إلى مومساة،شغلهم الشّاغل هو بيع الهوى، وفعل المحرم.

---

[1] – المصدر نفسه : ص 232 .

[2] – المصدر نفسه : ص 196 .

لاحظ **مامادو** ظاهرة أخرى منتشرة هناك وهي قضيّة المثليّين الأفارقة الذّين يرحلون من الجنوب إلى الشّمال الأوروبي بحثا عن حرية أكبر لممارسة شعائرهم بطلاقة وحرية،وهناك مثليين رافقا**دودو** طيلة الرّحلة وبما أنّ بطلنا فضولي للغاية اهتم بتقصي أخبارهم بدقة .

أما أكبر وأخطر الممنوعات التّي يقومون بها هي تزوير الدّينار والعملة الصّعبة، وهو ما حكاه **جورج** ل**مامادو** عن أهله « **نحن أهل ليبيريا نتختلف عنكم . دول السّاحل المسلمة . كثيرا !!) (...) في تجمعنا لا أثر للشّيوخ، هناك نساء متحرِّرات، يمشين في المخيَّم بدعامة الصّدر.. التّبان القصير.. كما وجدت قناني كثيرة فارغة، مزروعة بأرجاء البيت للمشروبات الكحولية المقلّدة، (...) كما رأيت بإحدى الغرف جهاز الماسح الضّوئي في تعليبه الكارتوني، مكتوب عليه بالبنط العريض، ماركة مسجلة "HP"، تخلد بجانبه محاليل كيميائيّة، في قارورات زجاجيّة صغيرة، (...)إنها لتزوير عملة الدينار واليورو»**[1]

عُرف عند الشّعب الجزائري أنّ أهل النّيجر ومالي شعب لطيف مسلم لا يرتكبون الجرائم والشّجارات، خلاف أهل ليبيريا والكوديفوار والكاميرون وغيرهم من غير المسلمين–أغلبهم– لهم طبع شرس وغير مسالمين؛ لذا فهم من يتولون عملية تزوير النّقود،وترويجها داخل الشّارع الجزائري. وهي جريمة يعاقب عليها القانون الجزائري، لأنّها تمس رمزًا من رموز سيادتها(العملة النّقديّة). إلّا أنَّ العديد من ليكاماراد لا ينفكون عن تزويرها رغم الإجراءات الصارمة التي تُظهرها السّلطة الجزائريّة والدّليل على ذلك العدد الهائل التّي تذكره الإحصاءات في السّجون الجزائريّة بهذه التّهمة،رغم هذا عزم **مامادو** على العمل مع المزوِّرين وصرّح بذلك لأصدقائه « **إنِّي من الغد مساء، عاقد العزم على أن أحترف بيع العملة الصّعبة المزوّرة بالمدينة !!، شكوت لهما قصر ذات يدي، عن توفير**

[1] – المصدر نفسه : ص 214 .

المال اللازم، لاستكمال الرّحلة شمالا بعد شهرين »[1] حاجة **مامادو** الماسة للمال هي مادفعته للعمل في الممنوع، والمعروف في تلك المناطق أن من يستبدل الدّينار بالعملة الصّعبة هم المقبلون على أداء فريضة الحج. أعطى المزور **مامادو** تعاليم صارمة منها « **إن قُبض عليكَ متلبسا بالعملة المزورة، عليك ألّا تصرّح، أنك أخذتها من هنا.. كل ما عليكَ قوله، حتى لو وضعوكَ تحت تعذيب صعقة الكهرباء، إنكَ أتيتَ بها معكَ من بلدك الأصلي النّيجر**»[2] استفاد **دودو** بمبلغ كبير- سبعة ملايين ونصف المليون من السنتيمات الجزائريّة - بعملهِ في ترويج العملة في الشّارع. ولكنه بمجرد أن أُمسك بصديقه **جورج** توقف مباشرة .

يصنع شعب ليكاماراد مشروبات مقلَّدة يصنعونها، فبعدما سأل **مامادو كايطا** عن الرائحة المنبعة من كل أرجاء المخيم جاوبه ب« **إنّه المشروب الرّوحي لشعب ليكاماراد يا رفيقي.. منه مشروب "Gورو Gورو" اخترعه سجناء التّمييز العنصري بجنوب إفريقيا قبل خمسين سنة، يصنع من تخمّر بقايا اللّباس المتسخ والجوارب المعكّرة.. كما أنّ هناك مشروبا روحيا آخر، نُطلق عليه "بيليبيلي" وثانيا ندعوه "كاسيْلي" كلاهما يصنع من الذّرة والدّخن(...) "شومْبولو" تقليدي أيضا، تُباع هذه المشروبات رخيصة هنا، الكأس الواحدة منها لا تتعدى (50 دج)**»[3]إضافة إلى هذه المشروبات الرّخيصة، تباع المخذرات وقد كان كايطا(صاحب الغرفة) أحد بائعيها، وهي تعتبر أقل خطرا من سابقتها لأنها تُروج داخل الأحياء الكاماراديّة فقط، إضافة إلى أنَّ هذه الأحياء « **لا أحد يجرأ على الاقتراب منه من أهل البلدة.. إلا أولئك المعربدين، الذّين يطلبون اللّذة ولا يخشون الأمراض الجنسيّة المتنقلة ك(سيدا) والباحثين عن الخمور التّقليديّة الرّخيصة من المتشرِّدين، لا يهمهم أن**

[1] – المصدر نفسه : ص 235 .

[2] – المصدر نفسه : ص 239 .

[3] – المصدر نفسه : ص 219 .

يتعرّضوا لشجّ لكمات أو بصق..(...) حتى الشّرطة لا تقوى على دخول الحي، هو منطقة كامارادية حمراء كما توصف في التّقارير الأمنيّة لمدينة باريس المحروسة سيّدي ضيف إفريقيا الغريبة..»[1]إضافة لأعمال أخرى، المهم عندهم جني المال بأي طريقة حتّى أنَّ **مامادو** فكر في بيع الواقي الذّكري في مدخل الحي لزبائن العاهرات، ثم تنازل عليه لصديقه **ساكو** .

يعاني مهاجرو إفريقيا مشاكل نفسيّة عديدة، تؤثر سلبيًا على أحوالهم العامة، فهذه الحالة النّفسيّة المتقلبة في دائرة الخوف تلازمهم على طول فترة رحلتهم، بل يمكن القول قبل وبعد خروجهم من بلدهم الأصلي، فهم يعيشون في قلق دائم نتيجة عدم شعورهم بالاستقلال، والتّطفل، وعدم احترام الغير لهم، فشعور الذّل والإهانة ملاصق لهم. إضافة لشعور الغربة والوحدة، وعدم الأمن والانتماء، وهذا ما يؤدي بهم إلى العزلة الاجتماعيّةوالنّفسيّة. فتغيُّر البيئة والمجتمع الذّي ألفوه هو ما يجعل النّوستالجيا تسكن قلوبهموعقولهم؛ فكيف لا وذكريات العائلة، وجلسة الأصدقاء، والأيام الجميلة هي الشّيء الوحيد الجميل في حياتهم «**[[الحنين للدّيار سيدي..إذا ما اختلط بحلم الفردوس في الغربة، له طعم لا يوصفوالله]]** »[2] كان **مامادو** دائما يتذكر أمه **سلاماتو**، وأخته **زينابو**، ورفيقين **غاريكو** و**عُسمانو**الذّين بقوا فالدّيار، كما كان يتذكر مجلس **فضا** الذّي كان يقضي فيه مع رفاقه الأربعة أجمل أوقاته، كما كان يتذكر من الحين لآخر بقرته **باكتو**، وأيام تجواله لبيع أعواد(Gورو) أو أعواد السّكر. إضافة إلى تدهوّر حالتهم الصّحيّة يرجع لعدم تقبل الشّعب المُضيف لهم، وكيفية تعاملهم معهم ؛ فنظرات الخوفِ والشّكِ والنَّبذِ تؤدي إلى إضعاف شخصيتهم، وبذلك فقدان الثّقة بالنّفس خاصة في اتخاذ القرارات. إضافة إلى فقدان الأمن النّفسي،وبالتالي عدم القدرة على تحمل الضّغوطات المحيطة من شعب البلد المستقبِل، وبذلك خلق مشاكل ومناوشات

[1] – المصدر نفسه : ص 229 .

[2] – المصدر نفسه : ص 348 .

عدَّة. فكل هذه الضّغوطات أدت بِ**دودو** لأن يكون في حالة من القلق والتّفكير؛ لذا كان دائم التّرديد لعبارة « [[**الرّجوع ليس سهلًا !! الوصول للفردوس ليس سهلا !! البّقاء هنا ليس سهلا]]**»، وهو ما نجده في الصّفحاتِ (**217، 232، 292، 293، 316، 322، 340، 351، ...**) .

وفَّر **مامادو** وصديقالعمر **إدريسو** المال الكافي لإتمام الرِّحلة ؛ وذلك من خلال العمل في ورشات البناء، وتجربة ترويج العملة الصّعبة المزوّرة، وفي أثناء تلك الفترة كان ينتظر صدور جواز سفره المُزوَّر، الذّي بصدوره اضطر للتّظاهر بأنَّه مسيحي واسمه **روبونسون كوليبالي،** يقول **مامادو** في وضعه الجديد داخليا « **كل شيء يهون من أجل تحقيق حلمي.. سأعلق الصّليب في رقبتي وألبس عباءة اليسوع من أجل خداع رجال الأمن، أني ملياني مسيحي كما في جوازي، في عميقي سأبقى نيجريا مسلما وما يضيرني ذلك..**»[1]. لم يبال **مامادو** بتحوله لمسيحي، ولا لتغير اسمه، حتّى أنّه وضع سلسلة الصّليب في رقبته، ولم يهتم بنظرات الشّعب الجزائري المتذمِّر(الشّعب الجزائري بطبعه لا يحب رؤية أشخاص يتَقلَّدون الصّليب)، فحجته أنَّ الضّرورة تُبِيح المحضور ،والغاية تبرر الوسيلة .

وصل **دودو** بعد رحلة طويلة إلى المغرب الأقصى، وبعد بقائه مدة في مخيم **قبرص،** قصد جزيرة **لامبيدوزا** حيث علِم بحساباته أنَّه قطع من دياره **Gمكلي** إلى رجته الكبرى على حدِّ قوله حوالي **(5212) كلم**. ليقيموا في إحدى غابات المغرب غرب مدينة **لامبيدوزا** التّي أقيمت فيها مخيمات للتّدريب على القفز والوثب والجري. للمعوِّلين على الفردوس. وفيه اضطرُّوا لأكل لحم القطط والقردة،حتّى أصبحوا يعرفوا في تلك المناطق المجاورة ب(القَطّاطين) و(المشّاشين). وفي ليلة **(2012/12/31م)**. كان القلق والخوف يسكن قلب كل واحد منهم. ومع اقتراب عقارب الساعة، وتمام ساعة الصّفر. هجم الجميع على السِّياج

[1] – المصدر نفسه : ص 291.

في دفعات ؛ الدُّفعة الأولى للأطول قامة والثّانيّة لمتوسطي القامة وهكذا. وكان حظ **دودو** السّيء أن كان في الدّفعة الثّانيّة ما أدى به لمفارقة رفيق العمر **إدريسو** الذّي كان يتقدمه، ولما كان يتسلق السِّياج لم يشعر إلَّا ويدٌ تمسكه من خلفه بقوةٍ في الوقت نفسه سقطت تعويذة أمه من رقبته التّي كانت تحميه، ثم سمع صراغ من قطعوا السّياج ومنهم صديقه **إدريسو**. وهنا ضاع الحلم، ضاع الفردوس. في صبيحة يوم **2013/01/01م**، كان **دودو** يسرد قصة خيبته لأهل قريته .

تجلت مظاهر الواقعيّة في هذا المبحث أو في رواية **كاماراد رفيق الحيف والضياع** من خلال تقديم الزِّيواني صورة للرّجل الإفريقي المهاجر إلى أوربا الحالم بفردوسها. فهي صورة منحطة راضخة، فقد صوّر علاقة العبد بسيده سواء من خلال علاقة **مامادو** بالمخرج **جاك بلوز** أو علاقة الكامارادي والجزائري ؛ إذ أنَّ هذه الأخيرة أقلَّ رداءة من سابقتها. فالرِّوائي أعطى صورة حقيقيّة لواقع القارة السّمراء المنسيّة وراء الصّحراء الكبرى، وبطله **مامادو** هو صورة لكل إفريقي مُهمَّش عانى ويلات القهر والظّلم والتّهميش في بلده. هذا الأخير المنهك، والمشتت في ضياعه، والمغتصب، والملطَّخ بالسَّواد كسواد بشرةِ أفراده.

المبحث الثاني : التّقاليد وواقع المرأة في المجتمع الجزائري في رواية "العمامة والطّربوش" صبرينة بن عزيزة" :

تمهيد :

تهميش المرأة موضوع متفق عليه منذ قرون مضت ؛ فالمرأة منذ أن خلقت البّشريّة، وهي تعاني من النّسيان والاضطهاد، والقهر، والظّلم المُسلط عليها من قبل الرّجل، حتّى جاء

الإسلام وأنصفها،وأعطها مكانة مرموقة تضاهيمكانة الرّجل. ولكن حال المرأة اليوم لا يقل انحطاطًا وخضوعًا عما كانت عليه قبل الإسلام، مع اختلاف في الوسائل والآليات .

يمكن القول : أن معظم الرّوايات النّسويّة الجزائريّة موضوعها يتمحور حول واقع المرأة الجزائريّة؛ مما تعانيه من جبروت الرّجل عليها من جهة، ومحاولتها لإبراز مكانتها وقيمتها في مجتمعها الذّكوري من جهة أخرى .

مهما كان وضع المرأة في المدينة مزريًا، ومتدهورًا إلّا أنّه لا يفوق مأساة عن وضع المرأة الرّيفيّة التّي نالت من التّهميش، والنّسيان النّصيب الأوفر، لهذا اخترنا رواية تعالج وضع المرأة الرّيفيّة وهي رواية **العمامة والطّربوش صبرينة بن عزيزة** ، فمن بداية عنوانها توحي بغطرسة وجبروت الرجل، فرغم قصر عدد صفحاتها(**111 صفحة**)فإنَّها تحمل الكثير من الدّلالات والمواضيع المهمّة التّي تمسُ واقع المرأة الرّيفيّة الجزائريّة ؛ من زواج القاصرات، والاتباع الأعمى للأولياء الصّالحين، وشيوخ الزّوايا، وقبل كل هذا الحكم الطّاغي لأسياد العشائر والقبائل، والعادات والتّقاليد، والأعراف الباليّة التّي لا محل لها من الصّوابِ .

تدرس **سعدة** بطلة الرّواية في الجامعة في عامها الأخير، تحضر لمذكرة تخرجها، فتاةتنحدر من قرية ريفيّة متقوقعة على نفسها في تخلفٍ تام. هذا ما أدخلها في صراع بين عالمين؛ عالم وضع نوعا ما قيمة للمرأة، وعالم آخر متسلِّط جعلها تعيش في متاهة من الذّكريات المؤلمة من ما عانته والدتها، وهو الذّي جعلها مرتبطة بشخص عُقد قرانها به منذ أن كانت تلعب مع أولاد قريتها، ما منحها بعض الوقت الموهوم للذّهاب للمدينة، والدِّراسة هو ذهاب **مراد** إلى الجيش. تحمل **سعدة** صورة مشوَّهة تمامًا عن الرّجالِ، وذلك لما عانته من تجبر رجال الدّشرة، وسخط عاداتهم وتقاليدهم،وأعرافهم، إلى أن لاقتها الصّدفة ب**مروان**. ذاك الشّخص الفلسطيني الذّي أحبها وقدرها وهي بدورها أحبته وتعلقت به، لكن المفاجأة أن **مراد** عاد إلى الدّشرة، وقرَّر **بوعناب** الذّي يزعم أنّه سيد وشيخ الدّشرة بمجرد أنّه يرتدي مرة

عمامة ومرة طربوشًا، قرّروا مصيرها في غيابها كما قرّروه في صغرها. لهذا قررّت الهروب لتتحرر وتحلم بغدٍ أفضل، وذلك بتشجيع من **مروان،** ولكنَّها وفي منتصف الطّريق لاقت حتفها بطعنة سكين من والدها، الذّي كان يتقدم أهل الدّشرة، ويرتدي طربوشًا بدل بوعناب، فكان آخر كلامها " **الآن، وفقط الآن، سأرتاح في سلام في إحدى يديَّ حفنة أحلام وفي الأخرى حاشية الطربوش.**"

1 . السّلطة العشائريّة في الرّيف الجزائري:

غالبًا ما نجد الاهتمام المنصب على المرأة متمحورًا على المرأة في المدينة. ولكنّ وضعها في الرّيف مغيب تمامًا كغياب كيانها في مجتمعها الرّيفي، المبني على النّظام العشائري القبلي، وبالتّالي سيد القبيلة هو الآمر الناهي على جميع أمور حياتها، فمبدأ الولاء والخضوع لسلطة شيخ القبيلة هو ما تجدرت، ونمت عليه ذهنيّة كل واحد منهم.

هذا هو حال **سعدة** التّي عانت الكثير جراء سلطة الأعراف، وخاصة زعيم دشرتها **بوعناب.** هذا الأخير له سلطة مطلقة عليهم تفوق حتّى السّلطة الأبويّة، فبيده تقرير مصير كل فرد من أفراد القبيلة فتصِفُ جبروته سعدة بقولها :« **هكذا كنا دوما نغيب جميعا ليقرر عنا الحاج بوعناب شيخ القبيلة وقاضيها، سليل الأشراف والسّلالة الفاضلة الملتحفة "بهترية" دينيّة متوارثة تمنحه حق التّقرير عنا ولنا والتّحدث باسمنا، بل وتحريكنا كالدّمى** »[1]. يختار الشّيخ بوعناب الزّوج، وهو من يأمر بالطّلاق، وهو من يسمح بدراسة فلان، وإيقاف تمدرس فلانة، وهو من يقسم الثّروات والأرزاق، وغيرها من الأمور، فهو يتدخل في جميعها، صغيرة كانت أو كبيرة، ولا يمكن رفض أي أمر صدر عنه بتاتًا، فذاك يعتبر تمردًا على أعرافهم تقول **سعدة** « **الأعراف جعلتنا نجتر أياما فقدت مذاقها لما ذوّبت**

[1] – بن عزيزة صبرينة : العمامة والطّربوش، دار هومه، الجزائر، (د ط)، 2014م، ص 62 .

ذواتها في شخص واحد، فانصهرنا فيه لدرجة الامتزاج مع جزئياته والتّداخل معها لنصير جمعا لكن بعقل فرد ! صرنا كلّنا إحدى صيغ لا أحد !(...) وتكاد اللّغة تندب عصرها الذّهبي، تخاطب الجمع بضمير المفرد وبوعناب لوحده بجمع الكثرة ... ! »[1] وكأنّه لم يكف تهميش الرّجل للمرأة حتّى يُضيف لها تهميش العشيرة، فرغم ما تؤديه المرأة الرّيفيّة من دورٍ فعال في ازدهار الاقتصاد الفلاحي، ومنه الوطني، إلّا أنّه غير معترف به لا ماديًا ولا معنويًا، فهي إضافة إلى عملها في البيت؛من غسل وطهي، وقيامها بأعمال أخرى (صنع أواني الفخار، جلب الحليب، الاعتناء بالحيوانات الأليفة)، وتربيّة الأبناء، فهي تعمل في الزّراعة كذلك بجانب زوجها، وقد أثبتت قدرتها العجيبة في الجمع بين كل هذه الأدوار، فهي الأم المربيّة، والمسؤولة عن بيتها وأسرتها، والمعيلة لزوجها في الدّخل العائلي من خلال الأعمال التّقليديّة والأعمال الفلاحيّة .

نتيجة الكبت والخضوع الذّي تحياه المرأة الرّيفيّة، ولعملها المتمحور حول الأعمال المنزليّة والزّراعيّة وعملها في الحضيرة، وعدم اكتراث زوجها بها وبمشاعرها ورأيها، هو ما يؤدي لإصابتها ببعض الظّواهر والعلل النّفسيّة مثل : انعدام الثّقة بالنّفس، والضّعف والعجز، والميل إلى الحسد والكراهيّة (...)، وهو ماحدث ل**سعدة**التّي عاشت صراع داخلي نتيجة كبتِها لحقدهاوكراهيتها للدّشرة ورِجالها إضافة لِما فعلوهبوالدتها، التّي عانت الظّلم حتّى ماتت قهرًا .

نتيجة قوة السّلطة العشائريّة أصبح لهم حتى حق القتل من دون أي محاسبة بحجة الشّرف والدّين.مثل ما حدث ل**غالية** إحدى نساء دشرة **سعدة** « **. وماذا عن غالية ؟ . طلّقها زوجها بأمر من القاضي وخدام الزّاويّة، امرأة جلبت لنا عارا ولعنة لا يجوز بعدها**

[1] – المصدر نفسه : ص 63 .

أن تبق على عصمة أحد رجالنا .»[1]كان ذنب غالية الوحيد أنَّها لم ترزق بأطفال، والذنب ليس بذنبها، ولكن الجهلة ألبسوها ثوب الخيانة وطمس الشّرف ليتمكنوا من قتلها والتّخلص منها، ليبقى شرف زوجها محفوظًا بين رجال الدّشرة، ويبقى هو الرّجل القوي القادر العفيف الذي لا عيب فيه. وهذا ما صرحت به سعدة عندما فهمت خديعتهم « **الآن فهمت أن القبيلة تلطخها بقصة عشق مع مختطفها للتّستر على وأد ارتكبته الأعراف بحق أنوثتها، أي تحريف أكثر من الصّلاة في غيرِ القبلة والصّوم إلى مابعد الغروب**»[2]تُعاب المرأة على أمور ليس لها دخل فيها، فتذّم بها ليس فيها، وهذا هو حال الضّعيف المغلوب على أمره .

تخلفٌ وجهلٌ كبيرٌ تعيشه الدّشرة أو كما وصفتها **سعدة«أحلامها متناهيّة في الصّغر والسّذاجة، اكتفت من الألوان بالسّواد وسربّت وجودها للعدم، فيها الأصل امتداد للفرع والفروع هي مشيئة الأصل وإرادته، علاقتهما تتلاشى في الإبهام تتداخل بشكل متشابك يتعسر فكه وفهمه، تشبعنا قسرا بطاعة شيخها قبل هوائها وترابها، بل رضعناها مع حليب الأمهات وتطوعنا فيها كنوافل العبادات** »[3]حتى الموقع الجغرافي له دخل في هذا الوضع الذّي يشترك فيه أهل الدّشرة ؛ فانعدام الخدمات الأساسيّة من وسائل الاتصال، والمراكز الصّحيّة، ووسائل التّرفيه، والمراكز التّجاريّة، كل هذا بمثابة حلم لديهم، فكل شيء منعدم هناك، فالرّيف أكثر محافظة،وخوفا على اهتزاز قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وعلاقاتهم الاجتماعيّة .

يتقلَّد شيخ القبيلة مهام عدّة ؛ فهو القاضي، والحاكم، والشّرطة، والبلديّة، والمستشفى، والعالم، والمعلم، (...)، كل هذه الأدوار يلعبها رجل واحد، بحجة أنّه سليل الأشراف حتّى أصبحوا كما تقول سعدة « **ما عاد أحدنا يتساءل لِم؟ متى؟ كيف؟ وغيرها من**

[1] – المصدر نفسه : ص 62 .

[2] – المصدر نفسه : ص 97 .

[3] – المصدر نفسه : ص 97.

الأسئلة التي قد تغتالها في أية لحظة، من الصّعب أن نجد أنفسنا في النّظام إذا كنا قد تعودنا على الفوضى »[1]لو أن العقول متفتحة، والوعي منتشر لانقلبوا على المعتاد عليه.

رغم أنَّ الزّمان ليس زمان الجاهليّة، والحياة في تقدم، وانفتاح إلّا أنَّ العديد من الأرياف الجزائريّة ما زالت على هذا الحال تؤمن بأعراف لا دليل لها من الصّحة، وشيوخ ووجهاء لا عقل ولا دين لهم، ويُوهِمون أنفسهم، وغيرِهم أنَّ أعرافهم وتقاليدهم، وعاداتهم دينيّة محضة، فهم يفسرون آيات الله على أهوائهم، ويقفون عاجزين على ماحُشِيَ فيهم من موروثات، رغم علمهم أنّه يستحيل لشرع الله تعالى أن يكون جائرًا ظلمًا لعباده ؛ لذا كانت ومازالت العادات والتّقاليد الظّالمة تقوي شوكة الرّجل على المرأة .

2 . سلطةالأولياء الصّالحين في الثّقافة الجزائريّة :

يؤمن أهل الرّيف الجزائري إيمانًا قاطعًا بمقدرة الأولياء الصّالحين على تسيير أمور حياتهم على أحسن حال؛ فهم يقنعون أنفسهم بأنَّ التّبرك بهم من خلال زياراتهم لأضرحتهم أنه سبب سعادتهم وقضاء حاجاتهم، وإبعاد الشّرور عنهم، حتّى قوة إيمانهم بالله تعالى لم تُنجِهم من التّخلصِ من هذه الأوهام والخرافات التّي سكنتهم لسنوات عديدة .

يلجأ بعض النّاس إلى الأولياء للاستشفاء؛ « **حيث يقومون بزيادة أضرحتهم والطّواف حولها وتضاء الشّموع وتقدم النّذور طلبا للشّفاء وتقام ولائم على شرف هؤلاء الأولياء الصّالحين توزع فيها الصّدقات على الفقراء والمساكين وتدوم هذه الزّيارات في بعض مناطقنا الجزائريّة لمدة أسبوع أو أكثر في بعض الأحيان، إكراما للولي وطلبا لبركته التّي**

[1] – المصدر نفسه : ص 98 .

يعتقدون أنّها سوف تصلهم عن طريق الإنبثاث »[1]فأهداف الزّيارة تتعدد منها الصّحيّة ؛ للشّفاء من الأمراض المختلفة،وهدف نفسي؛ للحصول على الرّاحة النّفسيّة ولطمأنينة القلوب، والهدوء الدّاخلي، واتقاء الشّرور، وإبعاد العين والحسد.

بمجرد أن رأت الخالة **سعدة** مهمومة ظنّت أنَّ بها عين فقالت لها :« **أراكِ لستِ على ما يرام هذه الأيام، تبدين شاحبة متعبة، ما رأيكِ أن نزور الدّشرة، نتبرك بالشّيخ بوعناب ونطلب من سي الطّيب أو أحد خدام الزّاوية أن يعمل لك حرزا من العين والحسد، أو حجاب لجلب الحظ ؟ الخدام (شالاه بيهم*) يشقون طريقا في البحر** »[2]تسيطر على عقولهم بدرجة غريبة أنَّ للحروز مقدرة جبارة على فك كل معضلة يقع فيها الإنسان، والأغرب منه أن هذا الإيهام يمس حتّى المتعلِّمين والمثقَّفين من النّساء، ورقي تفكيرهم، وعلمهم بالدّين لم يخلصهم من رجعيتهم في تصديق هذه الخرافات والأكاذيب .

كانت **سعدة** تسخر دائمًا من هذه التّفاهات التّي يحياها أهل دشرتها، ولكن ما بيدها شيء للتّغيير « **آه يا خالة، يلزم القبيلة عمرا بدل الضائع، هذه هي الحقيقة التي خُلقت لتّخف لأن اكتشافها يقضي على فخركم بما فات وتطلعكم لم هو آتٍ فيوّجِد داخلهم أزمة أمل، هذا وأنتم تعانون أزمة إيمان لذا يقودكم بوعناب في طرق بحريّة شقتها حروز سي**

---

[1] – لخضر زعتر: أثر التّعليم على الأسرة الرّيفيّة الجزائريّة، دراسة ميدانيّة بريف تزوكت بلدية آريس ولاية باتنة، مخطوط رسالة ماجستير في علم الاجتماعالرّيفي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012م، 2013م، ص 70 .

* أصلها لا يشاء الله إلا بهم، جملة تقال عن الأولياء الصّالحين لكن هذه هي في الحقيقة عين الشرك، المصدر نفسه، ص 12.

[2] – المصدر نفسه : ص 11، 12 .

الطّيب وسائر خدام الزاوية»[1] يسيطر على شيوخ الدّشرة خرافات كاذبة، وهم بدورهم يسيطرون على أهل القبيلة، ويوهمونهم بصدقها، وزوجاتهم يربون أجيال. فكيف سيكون حال مستقبل شبابها إذا كان أهلهم مهووسين بالحروز، والأحجية وهو ما يدخلهم في مصفِّ الشّرك بالله .

تسخر **سعدة** من شيوخ القبيلة لتفكيرهم السّطحي والسّاذج؛ لأنَّ كل شيء يرجعونه لغضب ورضى الأولياء الصّالحين « **. لكن من المؤكد أن الوجهاء قد فهموه فَهُم يفهمون كل ما لا يُفهم وإن كان يتعدى المعنى !**

ـ طبعا، ثم ذهبوا إلى قبة سيدي الباهي يشترون رضاه بالشّموع والقرابين لتزول لعنته وقلبوا الحصيرة لتنقلب المكيدة على أهلها »[2]. المتعلم الذّي أتاه الله تعالى العلم والمعرفةدائم البحث عن المعرفة ومتواضع يضع نفسه دائمًا في مصفِّ الجهلة، أما الجاهل التّائه في بحر الأكاذيب يحسب نفسه عالمًا بالغيب داريًا بمكنونات الأشياء، وهذا هو سبب تخلف المجتمعات وعدم تقدمها .

رغم عدم تقبل واستهزاء **سعدة** بالأمور التّي تقوم بها نسوة الدّشرة ؛ فإنَّها راضخة لها تابعة لهم. قالت لها إحداهن « **الجمعة سيكون مر أسبوع على فك خلخالك ويلزمك غسل روحك ببركات سيدي الباي»**[3]قامت سعدة بتطبيق ما أُمرعليها القيام به لإتمام مراسيم زواجها ؛ من فك قيود، واستحمام بماء مبارك، ووضع حروز، وزيارة أضرحة، كل هذا وهن مقتنعن كل الاقتناع بما يفعلن، عكس **سعدة** تمامًا التّي أجبرت على كل ذلك. فأهم أسباب

---

[1]– المصدر نفسه : ص 12 .

[2] – المصدر نفسه : ص 62 .

[3] – المصدر نفسه : ص 84 .

تخلف الرِّيف وتسلطه على المرأة هو إيمانه الأعمى بصلاح أوليائه الصّالحين، وحروز شيوخها.

3 . دور السّلطة الذّكوريّة في تهميش المرأة :

يقول الله عزَّ وجلَّ **{ ولَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ ورَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّن خَلَقْنَا تَفضِيلًا }**[1]تخص بني آدم المرأة والرجل دون تفريق أو تفضيل فيما بينهما، لأنّ الله تعالى فضلهما على غيرهما من المخلوقات، كرَّم الله تعالى المرأة وأعطى لها مكانة مرموقة. إلَّا أنّ الرّجل مازال ينظر إليها نظرة احتقار، ودونيّة، وازدراء حتّى أنّه لما يذكرها في مجالسه. يتحاشى ذكر اسمها وكما تقول **سعدة**« **نُطق اسم المرأة عندنا يكاد يكون تلطيخ لجدار المقدَّس، كأنّهم يستكثرون علينا الحروف وإن كانت فارغة من أي معنى أو نصيب يأخذه المسمى من اسمه، أو ربّما يرون في هذا إكليل خطيئة عُلِّق عند مدخل معبد بابلي مادام لم يلحق باسم رجل، لذا عودونا على بلع صيغ النّداء التي نكون فيها مجرد تابع لا أكثر بن فلان،زوجة فلان،وأم فلان** »[2]. حتّى أنَّ أبغض ما يحدث أن هناك من قَبلَ نطقه لاسمها يقول **حاشاك،** أو **أعفاك الله،** وكأنّها قاذورة من القاذورات، وهذا الفعل ما يزيد في مسخ شخصيّة المرأة واحتقار نفسها، فأقصى أنواع التّهميش يُمارس على جنس المرأة، والكثير من الجهلة يستخدم الخطاب الدّيني للجبروت على المرأة، فيفسره على هواه؛ أي ما يخدم سيطرته عليها، فيتحججون بأنّه جاء في القرآن الكريم، وأنّ الرِّجال قوامون على النّساء، والله أورث الرّجل ضعفي نصيب المرأة، كدليل على تفضيله عليها، وأنّ الرّجل له حق ضرب زوجته إن لم تطعه، وغيره كثير مما يحفظونه في خدمة مصلحتهم لا غير، أمّا آيات الله تعالى التّي بجَّلت المرأة

[1] – القرآن الكريم : سورة الحجرات، الآية : 13 .

[2] – المصدر نفسه : ص 25 .

وكرمتها،وأمرت بالرّفق بها، فقد غفلوا عنها ـ إلا من رحم ربه ـ إضافة لإغفالهم أن تلك الآيات الكريمة نزلت في ذلك الوقت لأحداث وقعت، ولحكمة اقتضاها مولاها .

اهتمام المرأة بأمورها السّطحيّة الهامشيّة، وإغفالها لدورها المهم بجانب الرجل في عمليّة البناء الاجتماعي، وعملية الحراك الاجتماعي هو ما أدى إلى عدم محاولتها لفك قيد عبوديتها للرّجل، وقيد عزلتنا الثّقافيّة، والفكريّة،والاجتماعية، فكان لها دور في هذا التّهميش المُسلّط عليها « **إنَّ التّوغل في تهميش المرأة ومحاولة إقناعها بالأفكار التي تصفها والسّلوكيات التي تمارس ضدها، ساهمت بدورها في تشرب المرأة هذا النّمط الثّقافي، وهيأت خلفيتها الذّهنيّة،والنّفسيّة لتقبل ذلك، الإقناع به من حيث لا يشعر، وجعلتها تعيش بين كماشتين: كماشة الجهل بقيمتها ومكانتها. وكماشة تهميش أبناء المجتمع لها ومسخ شخصيتها**»[1]. ساهمت هاتين الكماشتين بشكل كبير على طمس هوية المرأة وكيانها وثقتها بنفسها كإنسانة لها حقوقها مثلها مثل الرّجل، وهو كذلك ما أدى إلى كبت إبداعها؛ فالمرأة بخوفها وتبعيتها، وركودها أسهمت في كبت إبداعها وإبراز قدراتها.

تُسيطر على الرجل « **الموروثات والقيم والعادات التّقليديّة السّلفيّة الذكوريّة خصوصا فيما يتعلق بدونية المرأة للرّجل واستعبادها جسديًا وجنسيًا ونفسيًا وعقليًا له. لدرجة ربطت المرأة بالشّرف والعرض حد المماهاة ! وحقوقها دائما منقوصة رسميًا ومهدورة شعبيًا، وهي تابعة له أدنى منه منزلة جتماعية في الأسرة والعمل والمجتمع** »[2]فصورة المرأة دائمًا مرتبطة بالضّعف، والخضوع، وهذا لوجود شرذمة، عاقة، ومتخلفة ،و متسلّطة ترى بنفخ

---

[1] – ينظر : صادق المراوغة، المرأة بين الجهل بنفسها وتهميش المجتمع، مقال نشر: 2006/05/12م، www.arrwagah.org، اطلع عليه: 2019/05/30م، الساعة : 13:26 .

[2] – ينظر : محمد لفته محل، سلطة المرأة الظل في المجتمع العربي، الحوار المتمدن، مقال نشر: 2013/01/24م، www.m.ahawar.org، اطلع عليه : 2019/05/30م، الساعة : 10:54 .

ريشها أمام المرأة أنّها نالت مقاما، ويظنوا في فتل عضلاتهم عليها بالضّرب والشّتم أنّها مقياس للرّجولة .

رغم كون **سعدة** فتاة متعلمة تعيش بالمدينة، وتمكنت للوصل إلى وعي وتحرر بآرائها خاصة أنها أصبحت من المدافعين عن القضيّة الفلسطينيّة في الجامعة، إلّا أنّها بمجرد سماعها لكلمة الدّشرة يهتزُّ كيانها خوفًا وهلعًا، « **فهي تعاني من ازدواجيّة سلوكيّة هائلة بين ما تحمل من مؤهلات علميّة وثقافيّة وبين مخزونات وعيها الاجتماعي بحيث تكون في مجال العلاقات الاجتماعيّة والسّلوك والتّصور لمكانتها ودورها مرتبكة ومحافظة ورجعية إلى أبعد حد** »[1] .

كانت **سعدة** تحسد أختها **صالحة** التّي لم تتعلم فقد تزوجت ،وأنجبت، ومكثت في البيتطوال سنين عمرها، فتقول في سرها لما حسدتها أختها بدورها على تعليمها وتفتحها « **كيف عساني أشرح لها أن المتعلّمين أشدَّ النّاس تعاسة لأنّهم يعلمون أين الوجع وقد لا يصلون العلاج، يؤلمهم جرح يأبى الضّماد وتلفح أحلامهم نارا لا دليل إليها إلا الرماد بينما البسطاء يعيشون في نفس الظّلام الذّي ولدوا فيه وسيموتون فيه حتما** »[2]فمن يحس ويعرف قيمة الجهل والخضوع والذّل الذّي تحياه المرأة الرّيفيّة هي من عاشت فيه فترة من الزمن ثم خرجت منهواحتكت بالمجتمع المدني الذّي « **يؤدي إلى بروز أنماط جديدة للتّفكير والتّعامل لدى الإنسان الرّيفي بصورة تجعله يتحدى في أكثر من اتجاه ليس نحو نفسه فحسب بل ونحو ما يدور حوله في عالم الحضر وما يحدث فيها من مجريات في كل المستويات** »[3]فبفضل ذلك الاحتكاك حدث في المجتمع الرّيفي انفتاح طفيف؛ وذلك من

---

[1] – ينظر : عواد أحمد صالح، المرأة بين سلطة الرجل ونار المجتمع، الحوار المتمدن، مقال نشر: 2006/03/08م، www.ahewar.org، اطلع عليه : 2019/05/30م، الساعة : 11:27 .

[2] – المصدر نفسه : ص 65 .

[3] – لخضر زعتر : أثر التّعليم على الأسرة الرّيفيّة الجزائريّة، مرجع سابق، ص 70 .

خلال شبابها الذّين رفعوا راية التّمرد على العادات والتّقاليد والأعراف التي لا منفعة فيها، خاصة فيما يخص قوانين الزّواج، واتباع أوامر شيخ القبيلة، وخرافات الشّيوخ والأولياء الصّالحين، وغيرها من الأمور السّائدة في الرّيف .

ينظر الرّجل للمرأة نظرة ضيقة ،ومحدودة لا تتعدى كونها جسدًا للمتعة، وإنجاب الأطفال، وخدمته في أكله وشربه، وهو يرى في الفوارق الطّبيعيّة في مهامه ومهامها أي المعيار الشّكلي أو الهيكلي خاصة، معيارًا للتّفريق « **البنيّة الثّقافيّة هي التّي رسمت أدوار خاصة بكل من الرّجل والمرأة طبقا لمبدأ الاختلاف البيولوجي بينهما وهي تؤدي بدورها إلى إعادة إنتاج هذا الاختلاف البيولوجي بينهما وهي تؤدي بدورها إلى إعادة إنتاج هذا الاختلاف في إطار ثقافي يكرس التمايز بين الجنسين فهي لا تسمح بتبادل الأدوار بين الذكر والأنثى، وفي هذا المعنى تكريسا لمبدأ اللامساواة كبعد رمزي يجعل الرجل بمثابة القائد، فهو الذي يفرض رأيه وأوامره على مرؤوسيه باعتباره سيدا له مكانة مرموقة في أعلى الهرم الاجتماعي ويجعل من المرأة كائنا متدنيا في أسفل الهرم الاجتماعي** »[1]تُطبِّق وتنفِّذ أوامر من أسمى نفسه ب"سيدها" بتبعيّة مطلقة. وفي هذا الصّدد يقول عالم الاجتماع الفرنسي **بيار بورديو PierreBourdieu (1930م . 2002م)** « **إنَّ قوة النّظام الذّكوري تتراءى فيه أمرا يستغني عن التّبرير، ذلك أن رؤية مركزية الذكورة تفرض نفسها في خطب تهدف إلى شرعيتها، كما أن النظام الاجتماعي يشتغل باعتباره آلة رمزيّة تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي تأسست عليها** »[2]، ساهم الرّجل في تبيين مكانته، وقيمته، وبطبيعة الحال ما ساعد على ذلك هو طبيعة نشأته التّي فُطر عليها على سيادته للمرأة وتسلطه عليها، إلَّا أنَّ هذا لا ينفي وجود رجال يقدرون المرأة، ولا ينكرون فضلها في

[1] – سعود حجال، محمد بلحاجي : المرأة الجزائريّة المعاصرة بين خطاب التّقليد والحداثة . مقاربة سوسيو أنثروبولوجيّة . مجلة التّغير الاجتماعي، الع : 4، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص 71 .

[2] – المرجع نفسه : ص 72 .

تنشئة أجيال. لكن**سعدة** كرهت، ومقتت جميع رّجال القبيلة، لأنّهم صورة للرّجل المتسلّط على المرأة لا غير،حتى صادفت**مروان**الذّي أظهر لها النّوع الثّاني من الرّجال الذّين بطبيعتهم يرفقون بالمرأة،ويقدّرونها، ويقرُّون بأنّها بذرة الحياة السّليمة الصّالحة الطّيبة.

عقدة حياة **سعدة** هي ذكريات والدتها؛ والدتها صورة للمرأة الرّيفيّة التّي قضت حياتها في جهل وطاعة عمياء للعادات والتّقاليد، وخاصة زوجها، صورة للمرأة التي عانت ويلات القهر لمجرد أنّها لم تنجب ولد، أو كما يسمونه **ذكرًا**، يفضل أهل الرّيف إنجاب ذكر بدل أنثى. فهذه الأخيرة تعتبر رمزًا للعار، وطمس الشّرف، والغبن، والهم، تصف سعدة ما تتذكره عن أواخر أيام والدتها فتقول« **أرواح شريرة !؟ كم طنا من الأكاذيب والخرافات يلزمكم لتجميل أفكارهم، لإخفاء تشوهاتها فتصل درجة القبول على الأقل ؟ أيةِ أرواح يتحدثون عنها ؟ أعدمت أمي قهرا، تزوج عليها أبي لما أنجبت له بنتا ثانية بل وأجبروها على الرّقص في عرسه وهي نفساء، فصارت تنتفض، تهز كتفيها، تبعثر الألم في المكان، صفق عليها الجهلة، في ذهول معجبين برقصها، ظنوها سعيدة، هكذا هم الغوغاء دوما، يصدقون ما يرون لا ما يشعرون، يؤمنون بوجهة النظر ولا يفهمون شيئا عن وِجهة القلب** »[1] تتحمل المرأة ما لا يمكن أن يتحمله الرّجل ؛ كبت عظيم من الأسى والألم، وجع الزّمان والأعظم منه وجع الزوج، وبعدها وجع الأبناء الذّين يتنكرون لها عند الكبر؛ « **تعتبر قيمة الإنجاب من القيم الثقافية المحورية التي تركز عليها العائلات الريفية في الماضي وربما حتى في الحاضر لأنها الوظيفة الأساسيّة التي تستأثر بها هذه العائلات للمحافظة على قوتها وهيبتها ودعامتها الاقتصاديّة بين العائلات الأخرى خاصة أنّ الرّيفيين يؤمنون بضرورة إنجاب أكبر عدد من الأولاد لاستغلالهم كأيدي عاملة وقدرة إنتاجيّة في العمل**

[1] – المصدر نفسه : ص 12، 13 .

الزّراعي »[1]. أهمية الرّجل تفوق أهمية المرأة بكثير؛ فهو خليفة أبيه ـ في ظنِّهم ـ وهو حامل اسم العائلة، ومقاليد السّلطة، وهو حامي شرف العائلة؛ لذا فهي تتباهى بعدد الذّكور لديها. ولأنَّ الظّروف الاقتصاديّة الرّيفيّة تعتمد على اليد العاملة لصعوبة خدمة الأرض فتتطلب قوة الرجل، إضافة إلى ذلك أنّ المرأة صورة للعار عندهم .

من بين صور طغيان الرّجل والعشيرة كذلك على المرأة، أن يُفرض عليها زوج من دون رضاها، ومن دون حتّى الأخذ برأيها، مثل ما حدث لسعدة « **لإكراه يرش على القضايا مرارة تسحب منها شرعيتها فيتبرأ منها القبول وينبذها ككل الأفكار اللّقيطة للمنطق، أو ربما لأنَّ بوجوده تتجسد أمامي إرادتي التي أُغتُصبت بمباركة القبيلة لما كنت لا أزال طفلة لا تعرف من الحياة إلّا دميّة تلعب معها دور الأم التي فقدتها، ولا تفهم من الزّواج إلا الفستان الأبيض وباقات الورد** »[2]، زواج القاصرات أو حتى عقد قرانهن وهنَّ قاصرات جريمة بحق الأنوثة التّي لم تسلم من أي شيء، **سعدة** طوال حياتها وهي مقيدة برباط زواجٍ غُصب عليها، الشّيء الوحيد الذي أعطاها حرية ووقتًا لكي تكمل دراستها، ويؤجل إتمام زواجها هو انخراط **مراد** في الجيش، وبوعناب لم يكن ليسمح ل**سعدة** بالدّراسة في المدينة لولا أنَّ ابنته ذهبت للدّراسة هناك، ولكي لا يقع في حرج وافق على ذهابها هي الأخرى لهذا السبب لا غير .

يظهر تهميش المرأة في الريف في أبسط الأمور ويتجلى في الرّواية حين صاحب **مراد**،**سعدة** والخالة إلى الدّشرة فقال لها: « **تفضلي اركبي ليس علينا التأخر**،**إن أردتِ يمكنك الجلوس في المقعد الأمامي لكن تعرفين بمجرد أن نقترب من الدّشرة ..**»[3] عيب وعار أن تجلس الزّوجة بجانب زوجها، فهذا ينقص من رجولته حتّى وإن كان الزوج راغب في

[1] – لخضر زعتر : أثر التّعليم على الأسرة الرّيفيّة الجزائريّة، مرجع سابق، ص 76 .
[2] – المصدر نفسه : ص 58، 59 .
[3] – المصدر نفسه : ص 60 .

إنصافها،العادات والتقاليد لن تتركه بحاله تقول سعدة في نفسها: « **قلة احترام أن تضع المرأة نفسها في مستوى زوجها، إن كان في الأمام عادت هي إلى الخلف، وإن جلس على الكرسي، تفترش الحصير وإن اتخذ الحصير فراشا ليس لها إلا الأرض، لكن يبدو أنه فاتهم التّفكير في لو أنه افترش الأرض ماذا ستفعل أم أنه ليس عليه ذلك ما دامت الأعراف لم تعترف بها وضعية جلوس تليق بالرجال** »[1]قسوة وظلم عسير عاشته، ومازالت تعيشه تلك المخلوقة التي ابتليت بذنب أنها أنثى. كيف للجهلة أن يعلموا، ويتأكدوا أنَّ دورها، وأهميتها تفوقه بآلاف المرات؟ كيف له أن يُوقن بأنها تساويه عزة وكرامة ؟ كيف له أن يعِيَ أنّ الله تعالى أوصاه بالرفق بها؟ ليكتمل هو من خلالها، وليس لأنها ضعيفة، وناقصة .

لاقت **سعدة** في **مروان** ما كانت تبحث عنه ؛ رجل تتمناه كل أنثى، غيّر لها صورة الرجل الطاغي،رجل أخذ من سحر الكلمة وترًا يعزف عليه أحلى قصائد الحب ؛ حب فلسطين، وحب الحياة، وحب التّاريخ، وحب **سعدة.** وقعت هذه الأخيرة بين نارين ؛ نار حبها لـ**مروان،** وزواجها المجبرة على إتمامه لعودة **مراد.** أصبحت في تيهان وقلق دائم « **الأيام تمر وسياج الخوف يطوّق روحي كل يوم أكثر، ضاقت بي الأمكنة كلها، حتى الجامعة لم تعد أكثر من وقت مقتول وفراغ يملؤه ضجيج محاط ببنايات، وحزني الذي يفوق التصور يُبقي التعبير مكتوف الأيادي ! »**[2]فسماع سعدة بقرار بوعناب بضرورة عودتها للدّشرة وإتمام زواجها،وقع عليها كالصاعقة، الزّواج المحتم وغير المبني على الحب والتّفاهم، والثّقة، والتّقدير المتبادل بين الطّرفين، لا يسمى زواجًا، وعلى قول **سعدة** « **هل المقايضة في سوق الأجساد الممضوغة باستبداديّة أحيانا وبصمم التّكرار المستمر أحيانا أخرى تسمى زواجًا ؟ بل هذا انتحار معاني الميثاق الغليظ الذي يُؤسَس على الرضا**

[1] – المصدر نفسه : ص 60 .

[2] – المصدر نفسه : ص 85 .

والمودة والسكن »[1]جعل الله سبحانه وتعالى بين الزوج وزوجته مودة ورحمة، فجعلها سكنا له، ولقاؤهما يكون برضاها .

بسبب كل هذه الضّغوطات والجبروت التّي عانت منها **سعدة** لم تجد من حل سوى التّمرد، والهروب مع **مروان،** وكان ذلك قبل يوم من زواجها، وطلبت من **مروان** أن يطلب الحماية من إحدى العشائر التّي لها عداوة مع **بوعناب.** إلّا أنّها لاقت حتفها في منتصف الطّريق بطعنة خنجر من والدها الذي اتخذ محل بوعناب بتقدمه لأهل العشيرة لما لحقوا بها ووضعه لطّربوش، في هذا الوضع رأت سعدة بوعناب يبتسم، ويردد « **هجر الأوطان إثم وبهتان** »[2]، وفي الوقت نفسه لمحت أختها **صالحة** تبكي وتصرخ وتلوح بمنديل ملطخ بالدّم، الذّي كان ذات يوم ل**غاليّة،** هوت على الأرض وفي يدها طرف الطّربوش،آخر ما تلفظت به سعدة يعتبر ملخصلمجمل الرّواية، ومقصد الرّوائيّة **صبرينة بن عزيزة** بقولها: « **الآن، وفقط الآن، سأرتاح في سلام، في إحدى يديَّ حفنة أحلام وفي الأخرى حاشية الطربوش** »[3] قتلت سعدة وهي تحلم بغد جميل، بوطن يكون فيه الدّين هدى، ورحمة يطبق فيه شرع الله وفق تعاليم الدّين الإسلامي الحنيف، تحلم بغدٍ تكون فيه المرأة حرّة، ومكرمة، ورمز للطّهارة، ورافضة لذلّها، غدٌ لا تكون فيه أمها وغالية.

رغم الدّراسات الكثيرة والحديث الطّويل عن تهميش المرأة، والمطالبة بتغيير واقعها المر، إلّا مايزال على حاله في أغلب المناطق خاصة الرّيفيّة، وما تزال ليومنا هذا مستعبدة، وخاضعة لسلطان الرّجل والمجتمع الظّالم، ومازالت تهتك دمار طاهرات لنساء لم يرغبن سوى في تحقيق جزء من أحلامهن البسيطة، أحلام تأمل بوضع نهاية للأمس المظلم .

---

[1] – المصدر نفسه : ص 72 .

[2] – المصدر نفسه : ص 111 .

[3] – المصدر نفسه : ص 111.

يعتبر هذا المبحث الذّي تناولنا فيه التّقاليد وواقع المرأة في المجتمع الجزائري يمثل الصّورة العامة للمرأة الرّيفيّة الجزائريّة والأسباب المتحكمة في تهميشها، والرّوائيّة **صبرينة بن عزيزة** تمثل بدورها صورة للعديد من الرّوائيات الجزائريات اللّواتي حملن شعلة الدّفاع عن المرأة وجعلن موضوعها محور موضوعاتهنَّ؛ فنجد المرأة عندهنّ تارة المرأة المذلولة المنكسرة، الرّاضخة، وتارة نجد المرأة الجزائريّة القويّة الثّوريّة المساندة لزوجها، وتارة أخرى نجد المرأة الجزائريّة المتمرّدة، والمتحرِّرة، والواعيّة وهو ما أدخلها في معترك فلسفة السّياسة والدّين، وأصبحت أكثر جرأة وإفصاحًا عن مشاعرها ومكبوتاتها.

ومن بين هذه الصّور قدمت **صبرينة بن عزيزة** صورة المرأة المنكسرة الرّاضخة، فهي أرادت في روايتها **العمامة والطّربوش** تسليط الضّوء على العديد من القضايا ؛ بداية من جبروت الرّجل على المرأة، وضغوطات المجتمع أو العشيرة المتمثلة في رجل واحد وهو الشّيخ **بوعناب**،وتحكم العادات والتّقاليد على ذهنيّة الرّجل والتّي أدت إلى تقويته وغطرسته، إضافة لخرافات عظمة حروز شيوخ الزّوايا، والأولياء الصّالحين، مرورًا بالقضيّة الفلسطينيّة التّي أدرجتها الكاتبة في خضم هذه الظّروف، لتبين هامشيتها في المجتمع الجزائري والعربي عامة، صحيح أنّها محبة ومدافعة عن القضيّة الفلسطينيّة إلّا أنّها كغيرها من إخوتها قول من غير فعل. وفلسطين قدمتها في صورة **مروان**، لتختم روايتها بتأكيدها على أنّ المرأة الجزائريّة ستبقى تحاول مرارًا، وتكرارًا حتى تتخلص من عبوديتها وتهميشها وتغير واقعها فتكون امرأة حرة بفكرها، ومعتقدها، وآرائها، وزواجها، ووضع طريقة لمسار حياتها بنفسها وبذاتها.

أما فيما يخص **الفصل التّطبيقي** ككل المعنون ب**صورة المُهمّش في رواية كاماراد رفيقالحيف والضّياع** لـ**الصّديق حاج أحمد** و**العمامة والطّربوش لصبرينة بن عزيزة** فيمكن أن نستخلص أنّ صورة المُهمّش التي قدمت صورة مذلولة ،ومنحطة ،وضعيفة منكسرة،

وخاضعة لسلطة المركز، وهو ما تمظهر من خلال البطل **مامادو** في رواية كاماراد، وما لاقاه من حاجة وذل، والحال نفسه بالنِّسبة ل**سعدة** فهي صورة لواقع المرأة الرّيفيّة النّي لاتزال مقيدة بعادات وتقاليد وأعراف من عهد الجاهليّة، فهي صورة سالبة قدمتها الرّوائيّة رغم أن المرأة تمثل صورة إيجابية من خلال تفانيها في عملها على جميع المستويات إلَّا أنَّ هذا هو واقعها الحقيقي المُهمَّش .

الخاتمة

من خلال هذا البحث الموسوم ب**المهمّش في روايتي : كاماراد للصديق حاج أحمد، والعمامة والطربوش لصبرينة بن عزيزة**، وقراءتي لهاتين الرّوايتين، وتسليط الضوء عليهما، ودراستهما، توصّلت للنّتائج الآتية:

- ساهمت الرّواية الواقعيّة في تطوير رواية المهمّشين عبر مراحل التّاريخ، انطلاقا من التناول الغربي وصولا إلى الأدب العربي.
- وصلت الرّواية العربية التي عنيّت بالهامش،والمُهمَّش إلى درجة التَّميز لتمكّنها من تصوير واقع الإنسان المُهمَّش، ونقل صورته بمشاهد صادقة معبِّرة عن واقعه المؤلم.
- يتجلى التَّهميش الاجتماعي في صور عديدة ؛ تجعله يُستبدل في كثير من الأحيان بمفردات عديدة كالفقر، والاستعباد، والإقصاء، والحرمان.
- المهمَّش معروف منذ قرون من التَّاريخ الإنساني؛ وذلك لوجود الطبقيّة المتجذّرة في كل المجتمعات، إلّا أنّ بداية الدِّراسات التي تناولته في مجال الأدب تضاربت الآراء فيها؛ في نشأتها الأمريكيّة، والأوروبيّة.
- أدت الإصدارات الكثيرة من الكتب، والمقالات، وانعقاد النّدوات، وغيرها ممن يدافع عن المهمَّش المنسي، ويُطالب بحقه، وإثبات وجوده إلى انتقال الهامشيّة وتوسع آفاق دراستها.
- المهمَّش هو إنسان محروم من أبسط حقوقه الطبيعيّة التي يجب أن يتمتع بها كل إنسان حر، والتّجاهل، والتّهميش هو ما يؤدي به إلى مشاكل نفسيّة تدخله في حالات اضطرابيّة، وبذلك مشاكل اجتماعيّة عديدة.
- أوضحت تمظهرات الواقعيّة في رواية **كاماراد**مدى تبني الرّوائي لمبادئ وأسس المدرسة الواقعيّة التي أسّسها رواد الواقعيّة في العالم، والتي كانت مهيمنة على الرِّواية الجزائريّة طيلة السّبعينيات والثّمانينيات من القرن العشرين.

- استطاع الرّوائي **الصّديق حاج أحمد** بمقدرته الفنيّة أن يُصور شخصيّة **مامادو** تصويرًا دقيقًا، وواقعيًا، لما عاناه من هموم الحياة ومشاكلها، وهو صورة للكثير من الأفارقة الذّين يهاجرون سرًا أملًا في حياة أفضل.
- تعتبر رواية**كاماراد**ـ حسب علمي ـ الرّواية الوحيدة الجزائريّة التي تطرّقت لخبايا هجرة الأفارقة من الجنوب إلى الشّمال، والتي صوّرت الملمح العام الذي يسمّ بعض البلدان الإفريقيّة، إضافة إلى معاناتهم الكبيرة في البلدان المضيفة.
- كان للطرائق السّرديّة في رواية **كاماراد** دور فعال في تميز هذه الرّواية، وخروجها من المتواتر، وهو ما أدى إلى أن تحقق لنفسها هويّة سرديّة لها سماتها الخاصة بها، كتجربة مستقلة بذاتها.
- قدمت رواية **العمامة والطربوش** الصّورة الحقيقيّة المزرية المؤسفة لواقع الحياة في الريف الجزائري ؛ المبني على العقول المتحجرة المنقادة وراء العادات والتّقاليد والأعراف البالية التي لا محل لها من الصواب.
- على الرغم من المستوى التّعليمي والثّقافي الذي وصلت إليه المرأة الجزائرية الرّيفيّة فأنّها بسبب تسلط سلطة كل من الرجل والدّشرة والأعراف تصبح رجعيّة إلى أقصى حد.
- استطاعت الرّوائية **صبرينة بن عزيزة** أن تُصوّر واقع المرأة الريفيّة المهمَّش ببراعة، وكانت مدلولاتها أكبر بكثير من حجم الرّواية الصّغير نسبيا.
- أضاف هذا البحث للدّراسات الأدبية أنه بيّن ضعف أو خلو الرّواية الجزائريّة في جعل الشّخصيّة المُهمَّشة أساس متنها.
- تمظهرت صورة المُهمَّش عبر روايتي **كاماراد، والعمامة والطربوش** أنها صورة لشخصيّة راضخة ومُقيَّدة ومذلولة، مُسلط عليها مختلف أنواع الظّلم والعبوديّة، ورغم محاولاتها لتغيير وضعها فأنها تنتهي بالفشل.

- إذا كانت صورة المهمّش في الرواية الجزائرية صورة مشوهة بالآلام والخضوع. فهل هي الصورة نفسها في بقية الأجناس الأدبية ؟ أم تختلف عنها ؟ويمكن أن يُبحث في هذا الموضوع في دراسة مستقلّة مستقبلا بحول الله.

الملحق

1 . في رواية كاماراد رفيق الحيف والضّياع للصّدّيق حاج أحمد:

يقول الصّديق حاج أحمد الزّيواني (سمي بالزّيواني نسبة لروايته مملكة الزيوان) في ردّ على سؤال ، عن شخصه : « **وجه جنوبي بسيط، بساطة جغرافيّته الصّحراويّة، نشأ بالوسط القصوري، الطّيني الواحاتي بالصّحراء الجزائريّة، بمسقط رأسه زاوية الشّيخ المغيلي بولاية أدرار، تلقّى تعليمه القرآني بداية بكتّاب القصر الطيني، تدرّج في التّعليم حتى حصوله على الدكتوراه من جامعة الجزائر، يشتغل أستاذا محاضرا لمقياس إبستمولوجيا اللّسانيات، بقسم اللغة العربية و آدابها بجامعة أدرار، تقلّد عدَّة مهام بالجامعة منها نائب عميد كلية الآداب واللغات لمدة سنتين، و رئيس تحرير مجلة الجامعة، ليتفرّغ بعدها للتدريس و البحث و الإبداع** »[1]

مؤلفاته :

- ✓ التاريخ الثقافي لإقليم توات ـ دار الحبر ـ الجزائر ـ 2011م .
- ✓ الشيخ محمد بن بادي الكنتي ـ حياته و آثاره ـ دار المغرب ـ وهران الجزائر ـ 2012م .
- ✓ رواية مملكة الزيوان ـ ط1 دار فيسيرا ـ الجزائر ـ 2013م // ط2 دار فضاءات ـ عمّان ـ الأردن ـ 2015 .[2]

---

[1] - جلال حيدر : الصديق حاج أحمد الزيواني ، الكاتب لا يُحاكم على نصوصه ، نفحة، نشر بتاريخ : 2016/11/16م ، https://www.nafhamag.com ، اطلع عليه: 2019/06/19م ، الساعة : 20:52 .

[2] - الصّديق حاج أحمد : كاماراد رفيق الحيف و الضّياع ، دار فضاءات ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2016م .

يقول **الزيواني** عن روايته **كاماراد رفيق الحيف والضياع :**

«بحكم منطقتنا (محافظة غرداية) الواقعة في الصحراء الجزائرية، تعتبر كنقطة عبور استيراتيجية للعابرين الأفارقة نحو الشّمال، ما جعلني أرصد عوالمهم وهوامشهم، ممّا استفزّني، لأن أتناول مغامرات هؤلاء الأفارقة، فضلًا على أن القضيّة رأيتها قضيّة السّاعة، لكونها تقضّ دول العبور، و تؤرّق دول الضفة الأخرى من الشّمال(...)، كتبتُ النّص خلال سنتين كاملتين، متنقلّا بين مظان تواجد هؤلاء الأفارقة، حيث قمتُ برحلة شاقة ومضنيّة، نحو عديد الدول الإفريقية، كمالي، والنيجر، وبوركينافاسو، وتمنراست بالحدود مع النّيجر، ومغنيّة ، ووجدة المغربيّة، والنّاظور، والفنيدق قبالة جيب مدينة سبتة.. باحثًا عن تاريخ الإنسان الإفريقي كذلك، مستكنهًاتاريخه وأساطيره في المصادر والمراجع، و كذا تكوين بنك من المعلومات حول ما نشر على الشبكة العنكبوتيّة مكتوبًا، أو على اليوتوب، مما يتعلّق بعالم الهجرة و خفاياها »[1].

سلك **الزّيواني** المسار نفسه الذي تتّبعه بطله **مامادو**، وهذا تأكيد على واقعيّة حكاية مامادو وصدق معاناته، فكل ماجاء في الرّواية من أسماء أماكن، وتقدير للمسافات، والعادات والظّروف وكل ما خصَّ هوية القارة السّمراء هي صورة واقعيّة حقيقيّة بامتياز، أما الحوارات والشّخصيات هي أكيد من نسيج خيال المبدع، فكان هذا المزيج بين الواقع والخيال دليل على عبقريّة فذّة، وجهد كبير، ومعرفة واسعة ومعمّقة بمكنون القارة الإفريقيّة ومهاجريها؛ فقدم موضوعا نادرا أو قليل الانتشار في الأدب العربي، والجزائري بالأخص .

[1] - أوس داوود يعقوب ، الصديق حاج أحمد ، كاماراد لوحة فنية لتضاريس البؤس ، العرب ، نشر بتاريخ : 2016/03/27م ، https://alarab.co.uk ، اطلع عليه : 2019/06/19م ، الساعة : 21:53 .

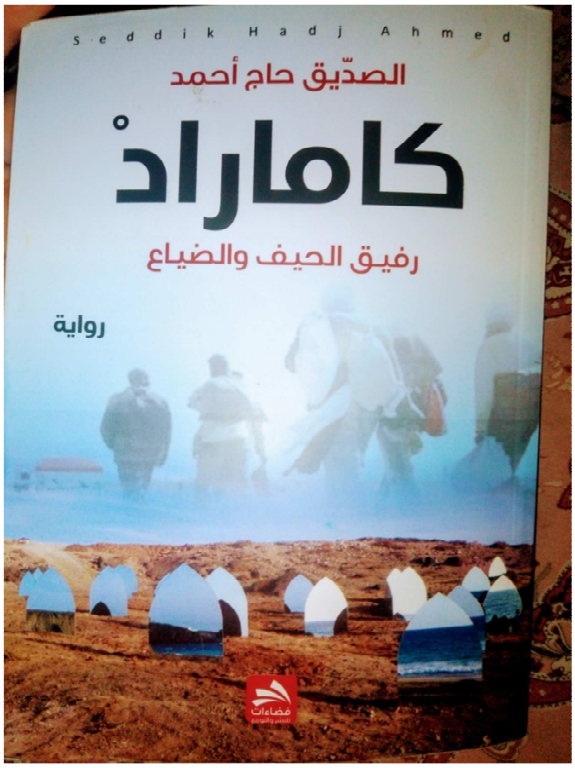

تمثل هذه الصّورة الغلاف الخارجي الأمامي لرواية **كاماراد رفيق الحيف والضّياع:** يوحي هذا الغلاف بمضمون الرواية ككل؛ وذلكمن خلال الأشخاص (المهاجرين) الستة، فمنهم الشاب وفيهم الكهل والشيخ ؛ لأن أهل جنوب إفريقيا كلهم يحلمون بالشّمال، ونلاحظ أنهم يحملون أكياسا في أيديهم وعلى ظهورهم ، كما نلاحظ ضبابيّة تختلط بلون أبيض وأزرق تحيط بهم، فالأبيض يمثل السّلام والخير الذي يتمنونه والأزرق هو وسيلتهم للعبور إلى فردوسهمالمنتظر، ونلاحظ صورة البحر وصورة الصّحراء القاحلة وكأنّ هناك في الصّحراء قبور، وهذا يدل على نهايتهم فإما تكون في البحر غرقا أو الموت في الصّحراء ومآلهم للدود. فقد جاؤوا في الوسط ففوق رؤوسهم النّعيم والنجاح وتحت أقدامهم الضياع والموت المحتّم في إحدى المكانين .

هذه صورة في الصفحة الأخيرة (363) من رواية **كاماراد:** صورة تتكلم عن نفسها، حذاء أو شبيه حذاء، قارورة أو بقايا قارورة مربوطة بخيط بقايا قماش، هذا هو حذاء الحرِّ والبرد، هي صورة مدهشة لفقر مدقع وحاجة وحرمان يعانيه الفرد الأسود الإفريقي .

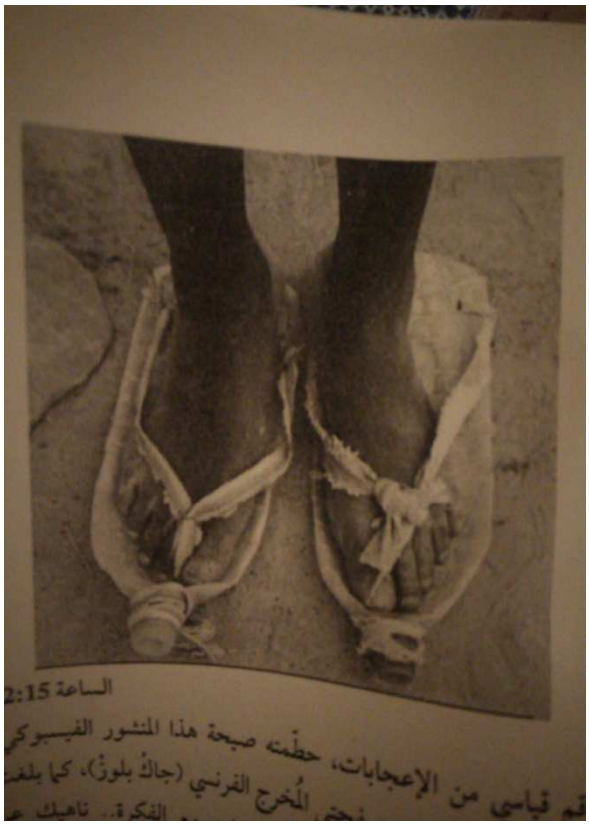

2 . رواية العمامة والطّربوش لصبرينةبن عزيزة:

صبرينةبن عزيزة:هي روائيّة و قاصّة جزائريّة «**من مواليد 20 ماي 1987م ، بولاية تيارت، خريجة إعلام و اتصال، تخصص علاقات عامة** »[1] ، روايتها الأولى بعنوان: **اليوم الثامن** ، و الثّانيّة: هي رواية **العمامة و الطّربوش** ، أما إصدارها الثالث هي رواية **ليل للحب و آخر للصّلاة .**

[1] - بختة بلرامضة : جريدة التحرير الوطني ، حوار أجري بتاريخ : 2015/01/20م ، الساعة : 13:20 ، https://m.facebook.com/altahrir.dz/posts/3260458775 ، اطلع عليه : 2019/06/19م ، الساعة : 20:59 .

تمثل هذه الصّورة الغلاف الخارجي **لرواية العمامة والطّربوش صبرينة بن عزيزة،** يوحي العنوان وصورة العمامة والطّربوش إلى جبروت وغطرسة الرجل؛ فالعمامة توحي إلى الشّيوخ ومنه العادات والتّقاليد والأعراف الباليّة، أما الطّربوش فهو يخصّ أصحاب السُّلطة والنّفوذ، وكلا السّلطتين هما سبب تهميش المرأة الريفيّة، نلاحظ أنّ لون الغلاف انقسم إلى نوعين هما لون العمامة الأبيض، والطّربوش الأحمر. فقد طغوعلى المساحة كلّها كما حدث في الواقع، و نلاحظ عدم وجود أي كلمة أو صورة توحي للمرأة رغم أنها محور الرّواية، وهذا دليل على غيابها و تهميشها، ونسيانها بحضور هاتين السّلطتين القمعيتين.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا : الكتب السماوية .

ـ القرآن الكريم .

ثانيا:المصادر.

ـ الصّديق حاج أحمد:كاماراد رفيق الحيف والضّياع، دار فضاءات، عمان، الأردن، ط1، 2016م .

ـ صبرينة بن عزيزة: العمامة والطّربوش، دار هومه، الجزائر، (د. ط)، 2014م .

ثالثا :المراجع .

1. أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م .

2. حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2015م .

3. سمير التّنير: الفقر والفسادُ في العالم العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2009م .

4. سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2004م .

5. شكري محمد عياد: المذاهب الأدبيّة والنقديّة عند العرب والغربيين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، (د. ط)، 1993م .

6. صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980م .

7. طه حسين: من أدبنا المعاصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د. ط)، (لا. ت) .

8. عباس محمود العقاد: دراسات في المذاهب الأدبيّة والاجتماعيّة، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2، 2006م .

9. عبد الرّزاق الأصفر: المذاهب الأدبيّة لدى الغرب، مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د. ط)، 1999م.

10. عز الدّين إسماعيل: الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط9، 2013م .

11. عصام عبد اللّطيف العقاد: سيكولوجية العدوانيّة وترويضها، منحى علاجي معرفي جديد، دار غريب، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2001م .

12. فايز التّرحيني: الدراما ومذاهب الأدب، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1988م .

13. فؤاد مرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبيّة، منشورات جامعة حلب، سوريا، ط2، 1980م، 1981م .

14. ليلى عنان: الواقعيّة في الأدب الفرنسي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1984م .

15. ماجدة حمود: مقاربات تطبيقيّة في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د. ط)، 2000م .

16. محسن عوض: قضايا التّهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة، نحو مقاربات جديدة لمكافحة التّهميش في العالم العربي، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2012م.

17. محمد الولي: الصّورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنّقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

18. محمد زكي العشماوي: أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنيّة الشعر، المسرح، القصة، النقد الأدبي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، مصر، (د. ط)، 2000م .

19. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعيّة، السويس، مصر، (د. ط)، (لا. ت) .

20. محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصريّة اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1995م .

21. محمد عزّام: فضاء النّص الروائي: مقاربة بنيوية تكوينيّة في أدب نبيل سليمان، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1996م .

22. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1997م .

23. محمد كامل خطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1981م .

24. محمد مندور: في الأدب والنقد، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1988م

25. نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزائر، (د. ط)، 1984م .

26. هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2015م .

رابعا: الكتب المعربة .

27. الطاهر لبيب: سيسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري أنموذجا)، تر: مصطفى المسناوي، دار الطليعة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م .

28. جوردون مارشال: موسوعة علم الاجتماع، المج: 2، تر: محمد الجوهري وأحمد زايد وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2000.

خامسا: المعاجم.

29. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، دار العودة، استانبول، تركيا، (د . ط)، (لا. ت) .

30. ابن منظور: لسان العرب، المج: 6/4، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م .

31. أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، (د. ط)، (لا. ت) .

32. أحمد بن فارس بن زكريا الرَّازي: مقاييس اللغة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م .

33. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1990م.

سادسا: المجلات والملتقيات.

34. عبد القادر خليفة، مهاجرو دول الساحل في مدن الصحراء الجزائرية، من مسار عبور إلى فضاء استقرار (مدينة ورقلة ـ الجزائر)، مجلة إنسانيات، العدد: 69، 70، 2017/10/30م .

35. أحلام بن شيخ: الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والنقدي، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد: 14، جوان، 2018م .

36. أسامة يوسف شهاب: الاتجاه الواقعي في الرّواية النّسوية في الأردن وفلسطين، مجلة دمشق، سوريا، المج: 29، الع: 1، 2، 2013م .

37. حسن بحراوي: أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات، مكناس، المغرب، العدد: 18، 2002م .

38. حوراء محمد قاسم: الاستبعاد الاجتماعي وعلاقته بسلوك الاحتجاج (رؤية نظرية)، مجلة الفلسفة، الجامعة المستنصرية، العراق، الع: 14، 2016م .

39. سعود حجال: محمد بلحاجي، المرأة الجزائرية المعاصرة بين خطاب التقليد والحداثة ـ مقاربة سوسيوأنثروبولوجية ـ مجلة التغير الاجتماعي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، الع: 4، (لا. ت) .

40. سميرة قوندي: مفهوم التّهميش الاجتماعي في المجتمع الجزائري ـ إشكاليات نظرية ـ مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، الع: 47، سبتمبر 2016م .

41. على شاكر الفتلاوي: العزلة الاجتماعيّة لدى المهجرين العراقيين، مجلة كلية الآداب، جامعة القادسية، العراق، الع: 91، (لا. ت) .

42. هدى أحمد أحمد الديب، محمود عبد العليم محمد سليمان: مخاطر الاستبعاد الاجتماعي على الدولة والمجتمع تحليل سوسيولوجي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، الع: 13، 14، ديسمبر، 2015م .

43. واثق عبد الكريم حمود: موقف الإتحاد الأوروبي من ظاهرة الهجرة غير الشرعية (الإفريقية)، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، جامعة تكريت، العراق،(د.ع)، (لا . ت) .

44. العربي حيران وطارق تواتي: ملتقى تحولات منظومة العمل وتشكيل الهوية المهنية بين بواعث الاندماج والإقصاء، مقاربة سوسيولوجية لمنظور أزمة الهوية المهنية لكلود دوبار، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، (لا. ت) .

سابعا: البحوث الجامعية .

45. سامية سعدي: صورة المرأة ودلالتها في الأمثال الشعبية ـ مدينة تبسة وضواحيها ـ نموذجا، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة تبسة، الجزائر، 2007م .

46. عبد الصدوق عبد العزيز: الاتجاه الاجتماعي في النّقد الجزائري الحديث والمعاصر، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة السانيا، وهران، الجزائر، 2010م، 2011م .

47. لخضر زعتر: أثر التعليم على الأسرة الريفيّة الجزائرية، دراسة ميدانيّة بريف تزوكت بلدية آريس ولاية باتنة، مخطوط رسالة ماجستير في علم الاجتماع الرّيفي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012م، 2013م .

48. منصوري رؤوف: الهجرة السرية من منظور الأمن الإنساني، مخطوط رسالة ماجستير في القانون العام، جامعة سطيف، الجزائر، 2013م، 2014م .

49. وهيبة دربالي: الرؤية النقدية وتطورها عند واسيني الأعرج، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009م، 2010م .

50. الجمعي بن حركات: التّشكيل الفنّي والرّؤية الواقعيّة في الكتابة الروائيّة عند الطّاهر وطار مقاربة تحليلية، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2016م، 2017م .

51. دليلة الباح: المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015م، 2016م .

52. نور الدين دحماني: بلاغة الصّورة الفنيّة في الخطاب القصصي القرآني، مقاربة تحليليّة في جماليات الأداء والإيحاء، مخطوط أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر، 2011 م، 2012م.

ثامنا: المواقع الإلكترونية .

53. أديتا أنوبكومار: مفهوم الإقصاء، تر: بثينة إبراهيم، حكمة، نشربتاريخ: 2016/06/14م، https://www.hekmah.org، اطلع عليه : 2019/02/25م، الساعة: 17:15 .

54. الحزب الشّيوعي السّوداني، اللجنة المركزية، مكتب التثقيف المركزي ،سلسلة التثقيف السياسي السوداني، مفهوم المركز والهامش، نشر بتاريخ: 2017/11/26م، https://sudancp.com، اطلع عليه: 2019/05/30م، الساعة: 20:33 .

55. جمال مجناح: جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجازرة، جامعة مسيلة، الجزائر، 2017م، virtuelcampus.univ.msila.dz/fill/ ?p:4903، اطلع عليه: 2019/02/18م، الساعة: 20:42 .

56. جميل حمداوي: الرواية البيكارسكية، موقع دنيا الوطن، نشر بتاريخ: 2006/12/08م، https://pulpit.alwatanvoice.com، اطلع عليه: 2019/03/03م، الساعة: 19:22 .

57. ريهام عبد الناصر: أفضل أقوال غوستاف لوبون، المرسال، نشر بتاريخ: 2018/01/04م،https://www.almrsal.com، اطلع عليه:2019/02/13م، الساعة: 21:42 .

58. سعاد العنزي: المهمشون في الأدب، ثقافات، نشر بتاريخ: 2013/10/30م، https://www.thagafat.com، اطلع عليه: 2019/02/24م، الساعة: 11:20 .

59. سعيد بن الهاني: حوار مع جرار جنيت أجراه: جوني بيي، نشر بتاريخ: 2015/05/10م، www.fikrmag.com، اطلع عليه: 2019/02/13م، الساعة: 19:44 .

60. صادق الرواغة: المرأة بين الجهل بنفسها وتهميش المجتمع، نشر بتاريخ: 2006/05/12م، www.arrwagah.org، اطلع عليه: 2019/05/30م، الساعة: 13:26 .

61. عمار بن طوبال: جوليا كريستيفا وعبقرية النساء، موقع الجزائر نيوز، نشر بتاريخ: 2009/11/02م، https://djazairess.com، اطلع عليه: 2019/02/23م، الساعة: 21:43 .

62. عمر أزراج:غياتريسبيفاك امرأة تحارب التبعية والذكورة وبقايا الاستعمار، العرب، نشر بتاريخ: 2014/12/21م، https://alarab.co.uk، اطلع عليه: 2019/02/23م، الساعة: 22:20 .

63. عواد أحمد صالح: المرأة بين سلطة الرجل ونار المجتمع، الحوار المتمدن، نشر بتاريخ: 2006/03/08م، www.ahewar.org، اطلع عليه: 2019/05/30م، الساعة: 11:27 .

64. مبروك بوطقوقة: بيير بورديو، موقع أرنتروبوس، نشر بتاريخ: 2010/03/07م، https://www.aranthropos.com، اطلع عليه: 2019/03/23م، الساعة: 21:22 .

65. متحف: فنانون تشكيليون، غوستاف كوربيه (لا ت)، www.mathaf.gallery، اطلع عليه: 2019/04/22م، الساعة: 23:21 .

66. محمد جميل: نظرية كارين هورني، نشر بتاريخ: 2016/11/14م، cdn.ampproject.org_pro_https://ppsy ، اطلع عليه: 2019/03/04م، الساعة: 10:13 .

67. محمد لفته محل: سلطة المرأة الظل في المجتمع العربي، الحوار المتمدن، نشر بتاريخ: 2013/01/24م، www.m.ahewar.org، اطلع عليه: 2019/05/30م، الساعة: 10:54 .

68. هناء محمود شكري: المهمشون كارثة عمرانية بيئية مؤجلة، نشر بتاريخ: 2011/04م، https://www.researchgate.net/publication/321579338، اطلع عليه: 2019/02/13م، الساعة: 15:05 .

69. هنداوي: كتب ومؤلفات الكاتب هنري جيمس، (لا ت)، https://www.hindawi.org، اطلع عليه: 2019/04/24م، الساعة: 21:05 .

70. https://www.arageek.com , consulte le: 23/02/2019 .

71. https://m.marefa.org , consulte le: 18/02/2019 .

فهرس المحتويات

فهرس :

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة .....**أ –ج**

مدخل : الرّواية الواقعيّة **5–30**

1. ماهية الواقعيّة في الأدب..... 5 – 9
2. نشأة الواقعيّة وأهم أعلامها.....10 – 22

1.2 نشأة الواقعيّة .....10 – 17

2.2 أهم أعلام الواقعيّة ....17 – 22

3. خصائص الواقعيّة واتجاهاتها 22– 27

1.3 خصائص الواقعيّة..... 22 – 23

2.3 اتجاهات الواقعيّة.....23 – 27

1.2.3 الواقعيّة الطّبيعيّة 23– 24

2.2.3 الواقعيّة النّقديّة..... 24 – 25

3.2.3 الواقعيّة الاشتراكيّة.....26 – 27

4. الواقعيّة النقديّة والاشتراكيّة في الجزائر ..... 28 – 30

الفصل الأول : مفاهيم الصّورة والتّهميش..... **32 – 68**

المبحث الأول : في مفهوم الصورة و التّهميش .....32 – 54

1. مفهوم الصّورة ..... 32 – 36
1.1 لغة ..... 32 – 33
2.1 اصطلاحا ..... 33 – 36
2. مفهوم المهمّش ..... 37 – 54
1.2 تعريفه ..... 37 – 41
1.1.2 لغة ..... 37 – 38
2.1.2 اصطلاحا ..... 38 – 41
2.2 مفاهيم ذات صلة بالتّهميش الاجتماعي ..... 41 – 50
1.2.2 الاستعباد الاجتماعي ..... 41 – 43
1.1.2.2 تعريفه ..... 41 – 43
2.1.2.2 أنواع الاستعباد الاجتماعي 43
2.2.2 الفقر ..... 43 – 46
1.2.2.2 تعريفه ..... 43 – 46
1.1.2.2.2 لغة 44
2.1.2.2.2 اصطلاحا ..... 44 – 46
3.2.2 الإقصاء ..... 46 – 49
4.2.2 الحرمان 49

5.2.2 العزلة الاجتماعيّة..... 49 – 50

3.2 جدل المركز والهامش ..... 50 – 54

1.3.2 مفهوم المركز..... 50 – 54

1.1.3.2 لغة 51

2.1.3.2 اصطلاحا ..... 51 – 54

المبحث الثاني : نظرة المهمّش في منظور العلوم الانسانية..... 55 – 68

1. المهمّش من المنظور التاريخي ..... 55 – 61
2. المهمّش من المنظور الاجتماعي ..... 61 – 63
3. المهمّش من المنظور النّفسي ..... 63 – 64
4. المهمّش من المنظور الأدبي ..... 65 – 68

الفصل الثاني : صورة المهمّش في روايتي كاماراد ، العمامة والطّربوش..70 – 113

تمهيد ..... 70 – 73

المبحث الأول : تمظهرات الواقعيّة في رواية كاماراد رفيق الحيف والضّياع للصديق حاج أحمد ..... 73 – 80

1. دوافع الواقع المعيش في تفشي ظاهرة الهجرة غير الشرعية ..... 73 – 80
2. التّحديات والمخاطر التي يعانيها المهاجر الإفريقي ..... 81 – 86
3. البيئات المتقوقعة على هامش المدن 86– 96

المبحث الثاني : التّقاليد وواقع المرأة في المجتمع الجزائري في رواية العمامة والطّربوش صبرينة بن عزيزة .....97 – 113

تمهيد ..... 97 – 98

1. السّلطة العشائرية في الريف الجزائري ..... 98 – 101

2. سلطة الأولياء الصّالحين في الثّقافة الجزائرية ..... 101 – 104

3. دور السّلطة الذكوريّة في تهميش المرأة ..... 104 – 113

خاتمة ..... 114 – 116

ملحق ..... 117 – 121

قائمة المصادر والمراجع ..... 122 – 130

فهرس ..... 130 – 134

ملخص :

يحاول هذا البحث رصد تمظهرات صورة المُهمَّش في الرِّواية الجزائريّة، ذلك بتقديم لمحة عامة عن التّهميش وعلاقته بالمصطلحات والعلوم الأخرى، ولمعرفة مدى تجلياته في الرواية قمنا بدراسة تحليلية اجتماعية لنموذجين هما: رواية "كاماراد" ل"لصديق حاج أحمد"، و"العمامة والطربوش" لـ"بن عزيزة صبرينة" كل هذا في خضم التَّيار الواقعي، لنتوصل في الأخير أنّ صورة المُهمَّش في الرِّواية الجزائريّة ما هي إلا صورة واقعيّة يطالُها الإذلال والخضوع. هذا واستند بحثنا على كلمات مفتاحيّة تمحور حولها البحث: الصورة، المهمّش، التّهميش، الواقعيّة، الرّواية الجزائريّة.

Résumé :

Ce travail de recherche suggéré une interprétation de marginalisation dans le roman algérien . Dans lequel nous présentons la relation entre la marginalisation et les termes cités dans les textes, mais aussi avec les autres sciences . Alors il s′agit d′un travail gui dépend de deux modèles de romans, gui sont "camarade" de "Essedik Hadj Ahmed" et "Elaamama et Eltarbouche" de "Ben Aziza Sabrina ". Ce travail s′intéresse beaucoup plus de courant réaliste , ou il faut noter gue la marginalisation dans le roman algérien ne présente gue l′image de l′humiliation et de soumission .Les mots clés : l′image , la marginalisation , le réalisme ,le roman algérien .

Summary :

This study attempts to monitor the manifestation of the marginalized image in the Algerian novel, by providing an overview of marginalization and its relation to other terms and sciences. In order to find out what its manifestation are in the novel , we have conducted a social analysis of two models : kamarad′s Hajji Ahmed Turban to Ben Aziza Sabrina all this in the midst of the real trend , to conclude that the image marginalized in the Algerian novel is only a realistic picture of humiliation and submission . Our research was based on key words that focused on research : image , marginalization , marginalization , realism , Algerian novel .